جامعــة غردايــة
كلية العلوم الإجتماعية الإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط قسنطينة الحفصية نمودجا (627-932هـ/1230-1526م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبة :
● سارة لغويطر

إشراف:
أ.د ابراهيم بحاز

أعضاء اللجنة المناقشة

أ/ مسعود كواتي	رئيسا
أ.د/ إبراهيم بحاز	مشرفا ومقررا
د/ طاهر بن علي	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي:1434 -1435 هـ/ 2013-2014م

« قسنطينة، وما أدراك ما قسنطينة مرتع يلتف من دونه النجم الطائر، وما من يلتقي على مركز من أفئدة البادي والحاضر، ولطالما أدارت الحرب على تطبها رحى نيرتهم، وحل جبها منهم هل السوداء من تلويهم، والسوداء من عيونهم» (1)

(1) ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة أقداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1990، ص39.

شكر وتقدير

حينما نعبر شط العمل الدؤوب، لايهيم في داخلنا سوى أولئك الذين غرسوا زهرا جميلا في طريقنا.

أولئك الذين منحونا العزم تلو العزم، لنتخطى الصعاب ونقف واثقي الخطى نشاطرهم الإبداع حرفا ولغة، لا يسع حروفي إلا أن تمتزج لتكون كلمات شكر اسمحوا لي أن أهديكم هده الكلمات منحتموني إقامة في المعرفة ،فلن ابرحها اساندتي الكرام.

الأستاذ إبراهيم بحاز مشرفا جزاك الله على متابعة أعمالي،وقبولك الإشراف على مذكرتي، ومداومتك على النصح.

كما لايفوتني أن أتقدم بالشكر للأساتذة المدرسين سوءا في طور الليسانس أو الماستر ،قدمتم لي دوما بد العون، أي كلام شكر يوفيكم حقكم، الدكتور طاهر بن علي، الأستاذ ملاخ عبد الجليل،الأستاذ مسعود كواتي.

والشكر موصول لجميع المساهمين في إخراج هدا العمل إلى النور، من بينهم المكتبة المركزية وعمالها، المكتبتين البلدية والولائية بمتليلي.

صديقاتي ورفيقات دربي،سواءا بالجامعة أم خارجها،آي قلم سيجرؤ على كتابة أسماءكم جميعكم،أهل الشكر، إخوتي في نصحكم،أصدقائي في دعمكم،أحبابي في حنانكم،كل الشكر والتقدير والعرفان.

الطالبة سارة لغويطر

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى

صاحبي الفضل الكبير بعد المولى عز وجل والداي الكريمين،إلى من كانت دعواتهما تحيطني وتحرسني سعيي جاهدين لبلوغي هذا المقام وأكثر، إلى جدتي الغالية أطال الله عمرها.

إلى من جمع بيني وبينه القدر، وأدرك ما أحببت قاسم.

إلى ترسانة حياتي من تمنين لي الخير على الدوام،فرحن لما فرحت وحزن لما حزنت، أخواتي الكريمات وأزواجهن جميعا،كما لا أنسى اخواي رفيقا دربي

إلى شمعتي العائلة يونس وأنفال.

إلى صديقاتي اللواتي تقاسمت معهن المحبة والاحترام عائشة وسمية والعالية صورية، وزينب، وجميع دفعة الماستر.

إلى صديقاتي اللواتي فارقتهن وفارقنني مقاعد الدراسة وتخصصاتها، ولا يزال عطائي معهن متواصلا فاطمة، نبيلة،نسرين، ربيعة.

كم لا انسى فضل الأخت سعاد التي تحملت معي أعباء التصحيح، مشكورة

تداخلت الكلمات وامتلأت السطور، ولازال شكري متواصل إلى كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد،خجلت سطوري أمامكم، عذرا لايسعني ذكر الكل

لكن ما يسعني قوله،التقدير والمحبة لكل عقل ادرك سر الحضارة،لكل من يعرف سارة باسم التقدير والاحترام له مني السلام.

قائمة المختصرات:

بالعربية :

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
تح	تحقيق
دت	دون تاريخ
ت	توفي

بالفرنسية:

Page	**P**
Page continues	**PP**
Tome	**T**

مـقـدمـــــــة

شهد المغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر للميلاد نهضة ثقافية معتبرة، كانت الحاضرة العلمية قسنطينة بصفة خاصة من أهم الحواضر الإسلامية القائمة أنداك، اتصلت هذه النهضة بجميع الميادين مما جعلها تحتل مكانة علمية راقية، إذ لم تتأثر بالفسيفساء السياسية بين دول المغرب الإسلامي.

ثم إن المتفحص و المتأمل للحياة الثقافية في هذه الحاضرة، يجد أنها قد انفردت بكوكبة من العلماء و المفكرين و الأدباء، الذين أسهموا في إثراء التراث الإسلامي، و الدفع بعجلته نحو التقدم و الرُقي، إن الدارس لتاريخ ظهور مدينة قسنطينة يدرك أن ظهور هذه النهضة العلمية لم يكن حدثاً عفوياً أو اعتباطياً، بل كان نتيجة لتضافر ظروف موضوعية نشأ عنها ميلاد مدينة جديدة بفكرها الراقي.

بالرغم من أن ظهور قسنطينة كان متأخراً نوعا ما، فلم يتجل بروزها إلا في العهد الزيري، في ظل نظام سياسي مشتت، و من هنا انتقلت من حياة الضعن إلى حياة الاستقرار، ومن ثَم الحضارة وفي هذا الإطار جاءت دراستي موسومة بالعنوان التالي:

الحواضر العلمية بالمغرب الأوسط، قسنطينة الحفصية نموذجاً

(627-932هـ/1230-1526م)

محاولة مني لإبراز دور قسنطينة في العصر الوسيط، وفي وقت إنصبت معظم الدراسات (1) على مدينة تلمسان الزيانية.

و بما أن مدينة قسنطينة كانت ذات أهمية كبيرة خلال القرون السابع والثامن وحتى التاسع الهجري، وبالرغم من الأوضاع السياسية المضطربة، فقد لجأ إليها العديد من العلماء وأسهموا في توسيع إطارها الثقافي، ومن هذا المنطلق يكمن العامل الرئيس للإشكالية التالية :

الدور الثقافي لمدينة قسنطينة الحفصية، ويتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات عدة :

- كيف استطاعت مدينة قسنطينة الخروج من حيز النسيان لتصبح من أهم حواضر المغرب الإسلامي؟

(1) في دفعتي يوجد ما يزيد عن خمس مذكرات في العهد الزياني فانفردت بقسنطينة الحفصية، في حين معظم تآليف في العهد الحديث هي الأخرى تتحدث عن الحاضرة تلمسان.

- كيف نشأ بنو حفص في قسنطينة؟
- كيف استطاعت مدينة تابعة للعاصمة تونس أن تتولى زمام الأمور، و تسير شؤون دولة بكاملها؟
- كيف استطاعت أن تتدرج في أداء الأدوار الأمامية عبر التاريخ؟ و ما هي العوامل الدالة على وجود حركة علمية بمدينة قسنطينة ؟
- أين تجسدت أفكار و جهود العلماء؟
- إلى أي مدى أسهمت المؤسسات في المحافظة على العلوم؟

جاء اختياري لهذا الموضوع نتيجة للأسباب التالية:

- إلقاء الضوء على أهم الجوانب الثقافية لدولة بني حفص في مدينة قسنطينة، وتنقية المادة التاريخية من الخلط.
- الرغبة في المساهمة بالجهد المتاح في إعادة كتابة الأحداث التاريخية لهده الفترة، ولهذه المدينة بنظرة جزائرية خالصة.
- إبراز الدور الفعال لمدينة قسنطينة في العصر الوسيط.

للإجابة عن هذه الأسئلة وضعت الخطة في هيكل كالآتي:

مقدمة و ثلاثة فصول، يتفرع كل فصل إلى مباحث، ذيلتها بخاتمة و ملاحق.

تعرضت في المقدمة للتعريف بالموضوع من حيث العنوان، و الإشكالية وشرح الخطة، والمنهج المتبع والدراسات السابقة وأهم المراجع المعتمدة والصعوبات.

جاء بعدها الفصل التمهيدي وعنوانه مدينة قسنطينة وتطورها التاريخي قسمته إلى ثلاثة مباحث:

فجاء موقع مدينة قسنطينة في المبحث الأول أما المبحث الثاني فكان لأصل التسمية، و في المبحث الثالث تناولت الأدوار التاريخية، مرتبة على التوالي في ستة أدوار وهي:

قسنطينة قبل الإسلام، قسنطينة إبان الفتح الإسلامي، في عهد الأغالبة، في عهد الزيريين والحماديين، في عهد الموحدين، وهي مهمة جداً في الإطلاع على أدوار مدينة قسنطينة في تاريخها الوسيط.

– أما الفصل الأول: الحياة السياسية لقسنطينة في العهد الحفصي، قسمته هو الآخر إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول تناولت فيه نشأة الدولة، وبناءها ثم سقوطها، أما المبحث الثاني خصصته للحديث عن أوضاع قسنطينة أثناء إنفرادها سياسياً بالحكم.

و المبحث الثالث والأخير في هدا الفصل وضحت فيه دور قسنطينة في تسيير دواليب الحكم.

و ولجت صلب الموضوع في الفصل الثاني بعنوان الحياة العلمية في قسنطينة الحفصية، جسدت فيه معالم الحضارة والرقي بالدولة فأوردت في المبحث الأول العلوم المتداولة عقلية ونقلية، وفي المبحث الثاني عددت فيه أبرز علماء قسنطينة، أما المبحث الثالث ذكرت فيه ابرز الأسر العلمية ذات الدور الفعال.

وخصصت للمؤسسات التعليمية والعلمية، الفصل الثالث تطرقت للمساجد والزوايا، ثم المدارس والمكتبات، وبالرغم من أن هذا الفصل يدخل ضمن صلب الموضوع أو الدراسة، إلا أن المعلومات حولة تبقى نادرة و ضعيفة، شوهت إلى حدٍ ما شساعة الموضوع في عمر مدينة قسنطينة.

وفي الخاتمة أبرزت النتائج المتوصل إليها خلال الحقب المدروسة في تاريخ مدينة قسنطينة الحفصية وبعض العناوين المقترحة.

جاءت طريقة اختياري للموضوع بالمزج بين المنهجين، اولهما وهو التاريخي بسرد الوقائع والأحداث، وثانيهما المنهج التحليلي لتوضيح دور المؤسسات والأسر، ودور بعض السلاطين في تنشيط العلم والثقافة.

وبالرغم من أن موضوع الحواضر العلمية ليس بجديد، فقد تناوله غيري بالبحث والدراسة،إلا إنني تطرقت إليه،متأكدة أنني أضفت ولو شيئا قليل ،قد يكون في المعلومة أو المنهج، أو المصدر، حسب ما تلقيناه من اساتدتنا الأفاضل،بالاعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة منها،

رسالة الطالبة جميلة مبطي المسعودي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص، وهي رسالة عامة في عهد الدولة الحفصية، لم تخصصها لمدينة بعينها.

رسالة طاهر راغب حسين: وهي كذلك رسالة عامة تتحدث عن أوضاع الدولة حتى أواخر القرن الثامن.

الزركشي: مصدر محلي له دراسات في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، اخر مؤرخي الدولة الحفصية، توقف عن الكتابة في بداية عهد السلطان الحسن سنة 932هـ/1225م.

ومن أهم الدراسات، دراسة المستشرق روبار برنشفك، وهي كذلك دراسة عامة أفادتني كثيرا في الشق السياسي من الدراسة.

وصف إفريقيا: لصاحبه الوزان المعروف لدى الغربيين بليون الإفريقي، ألفه بالايطالية وترجم لعدة لغات منها العربية، يؤرخ لكل بلدان المغرب الإسلامي،التي زارها.

ولإتمام الدراسة اعتمدت مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

من المصادر:

كتاب الفارسية: للفقيه ابن قنفذ القسنطيني ها الكتاب واحد من أهم مصادر الدولة الحفصية، وقد استفدت منه استفادة وافية، فضلا عن انه ابن قسنطينة نفسها.

العبر وديوان المبتدأ والخبر: للعلامة أبي زيد عبد لرحمان ابن خلدون،يأتي في طليعة المؤرخين الكبار،تعتبر كتاباته في هذه الفترة،الوثيقة الأساسية المعتمدة في دراسة التاريخ الداخلي للدولة الحفصية، وتعمقه في فهم القضايا، فهو ابن الدولة والعصر معا.

أما من المراجع حبكت ما يلي:

مدينة قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية وثقافية: للأستاذ فيلالي استفذت منه في العديد من النواحي، خاصة وان الأستاذ جزاه الله،تربع في الكتابة على المدينة وفك لنا بعض التشابك.

الحواضر والأمصار السلامية الجزائرية : للأستاذ حسان من المراجع الهامة التي تناولت تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، وحفظها من الاندثار والاندراس،بالرغم من أنني استشعرت فيه الاختصار،إلا أنني لايمكنني الاستغناء عنه، وللإشارة لم يتطرق لقسنطينة فحسب.

معجم أعلام الجزائر: لصاحبه عادل نويهض، ذكر فيه أعلام الجزائر بترتيب أبجدي، استفدت منه كثيرا في ترجمة العلماء خاصة الذين لم يذكرهم السخاوي، هذا الأخير كثيرا ما اعتمد عليه صاحب الكتاب.

إن الصعوبات التي اعترضت دراستي لاتختلف عن العوائق الروتينية التي تواجه اي باحث، من تشتت المادة في المكتباتوالكتب، او بعد المسافة بين المكتبات، والعائق الذي اعترض سبيلي خاصة ،وسبيل الدفعة عامة أحداث مدينة غرداية، التي كانت حائلا بيننا وبين المكتبات والمراكز الثقافية والأستاذ المشرف ،نعزي فيها أنفسنا وإخواننا المصابين، والأصعب من هذا نقص المادة التاريخية لتغطية الجانب الثقافي لهذا الموضوع، وسطحية الطرح لبعض المصادر التي تتحدث عن المؤسسات التعليمية،علاوة عن هذا ضيق الوقت عموما.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أشكر الله عز وجل، وأحمده أن وفقني لهذا الخير، وهداني لإنجاز هذا العمل المتواضع، والشكر موصول لجميع المساعدين في إنجاز هذه المذكرة، أسمى آيات الشكر أزفها الى جميع الأساتذة الأفاضل اللذين لم يبخلوا علي بالمساعدة وأخص بالذكر أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور ابراهيم بحاز، مشكورا على تصويباته وتوجيهاته بالرأي السديد، كما لا يفوتني إسداء الشكر إلى الذين أتشرف بمناقشتهم وتصويبهم للأخطاء الواردة، في بحثي وهو أو باكورة عملية أقدمها للجميع.

وما عساني أن أقول بعد ذلك إن ما أصبت فيه من الدراسة فهو من توفيق الله وحده، وأما إن كان غير ذلك فحسبي أني اجتهدت وحاولت، آملة أن أستفيد من توجيهات أساتذتي الذين لهم مني كل الشكر والتقدير سلفا.

" أسأل الله التقى فيما سبق والسمح والتجاوز عما بقي فهو ولي في الدنيا، والآخرة، حسبي ونعم الوكيل. "

الفصل التمهيدي

مدينة قسنطينة وتطورها التاريخي

- المبحث الأول: موقع مدينة قسنطينة
- المبحث الثاني : أصل التسمية
- المبحث الثالث: الأدوار التاريخية قبل العهد الحفصي

أ- قسنطينة قبل الاسلام

ب- قسنطينة إبان الفتح

ج- قسنطينة في عهد الاغالبة

د- قسنطينة في عهد الفاطميين

هـ- قسنطينة في عهد الزيريين و الحماديين

و- قسنطينة في عهد الموحدين

المبحث الأول: موقع مدينة قسنطينة

هي مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية فيها أثار كثيرة للأوائل ،وهي حصينة في نهاية المنعة،و الحصانة لا يُعرف بأفريقية أمنع منها ،ليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة في الأندلس، فإنها تشبهها في وضعها والخندق المحيط برندة، والحافة المحدقة بها تشبهها كثيراً،ولكن قسنطينة أعظم وأكبر و أعلى فإنها على جبل عظيم من حجر صلد وقد شق الله تعالى ذلك الجبل فكان فيه خندق عظيم يدور بالمدينة من ثلاث جوانب ،ونهرها الكبير يدخل على ذلك الخندق ويدور بالمدينة و يسمع لجريانه دوي عظيم هائل ،وصوت مفزع لمن يقترب منه وقد عقد الاولون على هذا الخندق قنطرة عظيمة، بل هي ثلاث قناطر بعضها على بعض و هي متصلة بالباب وقد بني على طرف القنطرة مما يلي باب المدينة بيت على أقباء يسميه أهل المدينة العُبور ، وهذه المدينة من أحدث عجائب العالم ،وهي على نظر واسع و قرى كثيرة عامرة، آهلة كثيرة الخصب والزرع ، ولها بساتين كثيرة الفواكه لانها شديدة البرد و الثلج كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها[1].

تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط طول 35.7 شرقا و دائرة عرض 36.13 شمالاً، و هي بذلك تحتل منطقة متميزة لشرق دولة الجزائر حالياً ، تتربع على كتلة صخرية بالعدوة الغربية لوادي الرمال ،و يحيط بها أخدود الوادي العميق ، و هو الشيء الدي زاد من حصانتها و أهميتها كقلعة شامخة إتسمت بخصائص محلية متميزة[2]. تقع حالياً على بعد حوالي 430 كلم جنوب شرق الجزائر العاصمة وتبعد بحوالي 84كلم من مدينة سكيكدة ، 156 كلم من مدينة عنابة ، 130كلم من مدينة سطيف 146 كلم من مدينة جيجل ،119 كلم من مدينة باتنة ،198 كلم من مدينة تبسة[3] .

(1) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق إسماعيل العربي ، الجزائر ،1983 ، ص52-53.

(2) عبد العزيز فيلالي :مدينة قسنطينة في العصر الوسيط دراسة سياسية عمرانية ثقافية ،دار البعث ،الجزائر2002،ص9 .

(3) مهنتل مقروس جهيدة : حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية و الرومانية ،دار الهدى ،الجزائر ،2001 ، ص13.

وهي بين تيجس وميلة، وبها اسواق وتجار، وأهلها مياسير ذوو أحوال وأموال ومعاملات للعرب وأصحاب حنطة تقيم في مطاميرها مائة سنة لا تفسد، والعسل بها والسمن كثير، و يتجهز بها إلى سائر البلاد [1].

ولها بابان: باب ميلة من الغرب ،وباب القنطرة في الشرق ،و القنطرة من أعجب البنيان لأن علوها يزيد عن مائة دراع ، وهي من بناء الروم،عددها في سعة الوادي خمس ، والماء يدخل على ثلاث منها مما يلي جانب المغرب ، وهي قوس على قوس ،فالقوس الأول يجري فيها الماء أسفل الوادي والقوس الأخرى فوقها وعلى ظهرها المشي والجواز إلى البر الثاني ،لها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه في أوقات حصارها متى طرقها عدو[2].

(1) محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار .تحقيق إحسان عباس ،مكتبة لبنان ،دار القلم بيروت 1975،ص 480 .

(2)نفسه،ص481 .

المبحـث الثاني : أصـل التسمية

كتب الاسم القديم للمدينة بشكلين (x4P) أي قرتا أو قرطا و يكون بهذا الشكل إسما من أصل بوني ، معناه مدينة أو قرية على غرار الكثير من المدن ذات الأصل الفينيقي ، والتي يبدأ اسمها بقرت أو قرط مثل ما هو الحال بالنسبة لمدينة (قرطشت) قرطاجة (المدينة الجديدة)

-ولقد اعتبر الكثير أن إسم المدينة من أصل بوني .

-وعندما كتب إسم المدينة بشكل آخر ر ت ن (s x 4 y) على بعض النقود النوميدية التي تحمل أساطير بونية بدأ الشك يدور حول أصل التسمية ، هل هي محلية أو بونية .

ولاحظ برترندي Bertrandy الفرق بين الكتابتين ، فالكتابة الأولى (ق رت) تبدأ بحرف القاف ويكون بذلك إسم المدينة من أصل بوني ، أما الكتابة الثانية فتبدأ بحرف الكاف و ليس القاف مما يرجح الأصل المحلي لها .

وقد حاول بعض الباحثين أن يجدو لها إسم آخر قد يسبق إسم كارتا أمثال برجار PhBerjer وشارليي R . charlier إشتقاق إسم للمدينة من بعض العبارات التي ظهرت في كتابات معبد الحفرة و هي (س ر م) فاقترح شارليي أن يكون معنى (س ر م) هو الباب و ربط المعنى بواد الرمل أخاديده وخنادقه ، و(ب ت م)بمعنى عميقة أو كبيرة [1].

و القليل من المدن تتمتعبموقع قسنطينة الذي تبقى فيه صخرتها التي تشكل حصنا طبيعيا لها * ،هي هويتها وعزتها، وسميت قسنطينة بهذا الاسم نسبة لمنشئها القيصر المسيحي الأول قسطنطين ،إذ أنها كانت قد هدمت بشكل كبير أيام حربه [2].

وقد صنفت الصخرة كتراث وطني في سنة 1999 م [3].

---

(1) مهنتل : المرجع السابق ،ص 32.

* أنظر الملحق رقم:(01)

(2) أحمد سليماني : تاريخ المدن الجزائرية ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص 129.

(3) نفسه،ص 22أنظر الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص56.

المبحث الثالث: الأدوار التاريخية قبل العهد الحفصي.

أ –قسنطينة قبل الإسلام:

إن قسنطينة من المدن الجزائرية الهامة، العريقة بتاريخها، وحضارتها منذ فجر التاريخ، وقد عرفت الاستقرار البشري منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ق م، وسكنها الإنسان القديم، واتخذ من كهوفها ومغاراتها وأدغالها بيوتاً ومستقرات يأوي إليها، وقد اختار العيش على ضفتي الوادي، ولاسيما بعد أن جفت بحيرة المنصورة [1]. وخير دليل على أن مدينة قسنطينة عاشت فترة ما قبل الإسلام، في العهد النوميدي والحضارة الميجاليكتية في تيديس، وبونوارة، وعين بومرزوق.

أول ملك عرفه شمال إفريقية، هو الملك سيفاكس ابتداءاً من عام 220 ق م، استطاع أن يوسع نفوذه، وأن يضم كل نوميديا في حوزة مملكته [2]، التي تعتبر الخط الدفاعي الأمامي والعمق الإستراتيجي العسكري[3].

ب – قسنطينة إبان الفتح الإسلامي:

مر الفتح الإسلامي بمرحلتين هامتين، الأولى في زمن عمرو بن العاص، أو ما نسميها مرحلة الاستكشاف (21-22هـ/642-670م) [4]، أما مرحلة الفتح المنظم ابتدأت من سنة 50-90هـ/670-710م.

تشير بعض الدراسات إلى أن عقبة أثناء عملية الفتح كان يخوض المعارك في الجهة المحادية للرومان ومن هنا نستنتج أن مدينة قسنطينة كانت بعيدة عن هذه الأحداث، وكان عقبة قد تمكن من إفريقية «ووصل عقبة بن نافع إلى إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها ووضع السيف في أهلها»[5].

---

(1) فيلالي: مرجع سابق، ص7.

(2) فرحاتي فتيحة: نوميديا من الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 219ق م- 46ق م،منشورات أبيك،الجزائر، 2007م، ص119.

(3) فيلالي: مرجع سابق، ص10.

(4) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،2006م، ص41.

(5) ابن عدارى المراكشي: مصدر سابق، ص19.

بعض الروايات تقول إن عقبة بن عامر الجهني هو الذي افتتح مدينة قسنطينة، وليس عقبة بن نافع الفهري الذي تمكن من سكانها خلال هجومه على باب القنطرة:المعبر الوحيد الموصل إلى قلب المدينة[1]، واقتدى به سائر السكان [2]، والكثير من المؤرخين يشيرون إلى أن عقبة بن نافع الفهري هو صاحب الفضل الكبير في فتح بلاد المغرب، إلا أن مدينة قسنطينة لم يتعرضوا لها بالذكر.

ج – قسنطينة في عهد الأغالبة.

تأسست دولة الأغالبة بإفريقية سنة 184هـ/800م، إذ يعد قيامها في إفريقية وجزء من المغرب الأوسط تجربة جديدة في نظم الحكم بالدولة الإسلامية، هده التجربة اقترحها الخليفة العباسي هارون الرشيد لتحقيق عدة أهداف أهمها تأديب البربر وتأمين مصر الولاية الكبرى في المغرب[3].

ظلت قسنطينة ولاية تابعة لحكم الأغالبة الموالين لبني العباس في بغداد، إلا أن اهتمام الأغالبة انصب على القيروان،ذات المكانة الإستراتيجية آنذاك، كما اعتنوا بطبنة عاصمة الزاب[4].

كان وراء سقوط دولة الأغالبة عدة عوامل من بينها ظهور دعوة عقدية في ريعان شبابها [5].

د –قسنطينة في عهد الفاطميين:

كتامة مجموعة قبائل مستقرة تنتمي إلى فرع البرانس حسب التقسيم التقليدي للمجتمع الأمازيغي عند نسابة البربر، سميت كذلك نسبة إلى جدهم الأعلى (كتام)، وقد يكون (كتم)، والافتراضات معاً مطروحة على النسابة المحليين[1].

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، مصر، 1965م، ص85.

(2) أبو زيد عبد الرحمان، محمد الأنصاري الأسيري الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: ناجي التنوخي، إبراهيم الشيوخ، ج1، دار السنة المحمدية، مصر، 1968م، ص10.

(3) أبي الحسن بن علي بن أبي الكرك بن الأثير الجرزي: الكامل في التاريخ، تح: محمد الدقاق، ج 5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص113.

(4) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج2، الدار العربية للطباعة، الإسكندرية، 1966م، ص415. انظر: محمد زهير طقوش: تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس، لبنان، 2001م، ص32.

(5) محمد علي الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج 1، الدار الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص465. انظر: محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ، تع: محمد المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص398.

وقد اختار الفاطميون منطقة كتامة بالمغرب الأوسط، لعدة اعتبارات أولها محبة وتقدير أهل المغرب لشخصية علي –كرم الله وجه–بخاصة وآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم عامة، لأن أحد أئمتهم بقوله: « إذا اشتد عليكم أمر قولوا يا محمد يا علي»[2]

يقالإن جعفر الصادق هو الذي أوفد الداعيين الشيعيين الحلواني وأبا سفيان إلى بلاد المغرب وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر[3].

دخل الحلواني بلاد المغرب،وتقدم حتى وصل سوجمار جنوب شرق قسنطينة، كان عالماً بموضعه فاشتهر ذكره، وأقبلت عليه العديد من القبائل وتشيع كثيرا منه على يده من كتامة، ونفزة، والسماته وكان يقول لهم: «بعث أنا وأبو سفيان فقيل لنا اذهبا إلى المغرب، فإنكما تأتيان أرضا بورا فاحرثاها ودللاها إلى أن يأتي صاحب البدر فيجدها مدللة فيبدر حبه فيها»[4].

بدأ عبد الله مهمته في ظروف ملائمة، مكن لنفسه في كتامة قاعدة عن طريق التعليم بجبل ايكجان[5]، تقلبت حياة الداعي بين الاستتار والظهور تبعا للظروف الخاصة[6].

عرفة المغرب الأوسط ازدهارا في هذه العصر، إذ اهتم الفاطميون بالفنون، كما تشيع الكثير من سكان مدينة قسنطينة على يديهم[7].

---

(1) موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري، ج 1، الأمل للدراسات، الجزائر، 2007م، ص170.

(2) نفسه، ص171.

(3) القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت،1970م، ص157.

(4) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م، التاريخ السياسي والمؤسسات، تر: حمادي الساحلي، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص60. انظر: علي فيصل العامري: السياسة الخارجية للدولة الفاطمية، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الكوفة، العراق، 2007م، ص13.

(5) اكجان: جبل يقرب سطيف، على مرحلة ونصف من بجابة، به قبائل كتامة وبه حصن ومعقل منيع. نظر الأدريسي الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: محمد الحاج صادق، الجزائر، 1985م، ص63.

(6) موسى لقبال: مرجع سابق، ص252.

(7) محمد الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر،1983م، ص116.

هـ -قسنطينية في عهد الزيريين والحماديين:

لما رحل المعز لدين الله الى القاهرة، ترك أمر إفريقية لبلكين بن زيري بن مناد، وأوصاه بثلاث: ألا يرفع السيف عن البربر، ألا يرفع الجباية عن أهل البادية، ألا يولي أحداً من أهل بيته [1]، تمتع بلكين باستقلالية أكبر عندما حكم بلاد تونس والشمال الجزائري ابتداءا من قسنطينة [2]، إلا أن قسنطينة تعرضت هي الأخرى لزحف قبائل بني هلال ضد المغاربة [3]بإثارة القلاقل في صفوف قبائل كتامة وزناتة[4].

وفي هذه الفترة استولى الحماديون على مدينة قسنطينة، لماكان حماد بن بلكين يحارب بنو عمومته الزيريين،وتربع على منطقة واسعة من المغرب الاوسط، واتخد القلعة عاصمة اولى له ،ثم انتقل منها الناصر بن علناس الى بجاية بعد قدوم قبائل بني هلال. نشطت الحركة العلمية والأدبية خلال هذا العهد بأحد طلبة القيروان ومؤسس الدولة حماد «كان نسيج وحده، فريد دهره، وفحل قومه، كبيراً شجاعاً»[5].

و -قسنطينة في عهد الموحدين:

كانت نقطة البداية لدولة الموحدين هو التقاء عبد المؤمن بن علي مع المهدي بن تومرت بقرية ملالة، الموجودة في بجاية، كان المهدي مصمماً على إقامة دولة متينة البنيان،وكان يبحث عمن يستطيع حمل هذه الفكرة على عاتقه ويظهرها الى الوجود [6]، كان ابن تومرت داهية زمانه قاله فيه المراكشي:

---

(1) ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص183.

(2) محمد الطمار: مرجع سابق، ص200.

(3) عبد الرؤوف جرار: سقوط الدولة الفاطمية ونبذ التشيع، مجلة القدس المفتوحة، العدد20، جويلية 2010م، ص135.

(4) محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص85. انظر: رضا النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر، 80هـ-973م/362هـ-973م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2005م، ص15.

(5) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في العهد الزيري من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، تر: حمادي الساحل، ج2، در الغرب، بيروت، 1992م، ص62.

(6) مراجع عقيلة غناي: قيام دولة الموحدين، دار الأمل للنشر، بنغازي، 2009م، ص270.

«فلما فهموا معاني تلك العقيدة، زاد تعظيمهم له وأشربت قلوبهم محبته وأجسامهم طاعته، وفلما استوثق من ذلك دعاهم إلى القيام بالمعروف والنهي عن المنكر»[1].

لما تمكن عبد المؤمن من المغرب الأقصى، بسط نفوذه على كل من تلمسان وبجاية وقسنطينة التي حاصرها حتى استسلم أميرها الحمادي الاخيريحي بن عبد العزيز.[2]

كان الموحدون يدركون أهمية قسنطينة منذ عهد أسلافهم الحماديين عندما حاصرها ابن غانية وأراد الاستيلاء عليها[3]، استقر ابن تومرت بقسنطينة مدة من الزمن واستضاف مجموعة من المشايخ والعلماء أمثال عبد الرحمان الميري والشيخ يحي بن القاسم، وعبد العزيز بن محمد، حسب تعبير البيذق «زار مسجد قسنطينة وقام بالتدريس فيه ونهى عن المنكر وعلم الناس إقامة الحدود».[4]

مجمل القول ان مدينة قسنطينة،كانت ذات اهمية معتبرة في كل العصور والدول التي تعاقبت على بلاد المغرب،في عهد ما قبل الإسلام ثم في العهد الإسلامي،ولاشك انها ستبقى على تلك الأهمية، بل ستكون أكثر شانا في العهد الحفصي كما سوف نرى.

(1) عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، دار الكتاب، الرباط، (د. ت)، ص274.

(2) عبد الحميد حاجيات: تطور الحياة الفكرية بالجزائر بعهد الموحدين، محاضرة الملتقى الوطني حول تاريخ ندرومة، 1998م، ص94.

(3) مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص90.

(4) أبو بكر الصنهاجي البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص35. انظر: Rachid Bourouiba: Iben toumtrt, Alger,1974, p20.

الفصـل الأول

الحياة السياسية لقسنطينة في العهد الحفصي

- المبحث الأول: الدولة الحفصية نشأتها وسقوطها
- المبحث الثاني: قسنطينة العاصمة الثانية للحفصيين
- المبحث الثالث : دور قسنطينة في تسيير ودواليب الحكم الحفصي

المبحث الأول : الدولة الحفصية نشأتها وسقوطها

أ–النشأة:

بعد زوال دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، ظلت دعوتهم مستمرة في المغرب على أيدي أقرباءهم الحفصيين حكام إفريقية وتونس.

والحفصيون فرع من الموحدين، ينتسبون إلى الشيخ أبي حفص يحي بن عمر الهنتاتي أو فصكة ومزال أنتي هو اسمه البربري الحقيقي، من أقدم أصحاب المهدي الموحدي ابن تومرت، فمند سنة 514هـ/1120م، وهو لا يزال شاباً، و الداعية في مسقط رأسه إلتحق بأصحاب الإمام العشرة من بين أهل الجماعة المقربين من المهدي،كان يمتاز بميزة خاصة، حيث كان ابن تومرت يكلفه بحمل الترسانة إشارة إلى ما تميز به من بركة، إلى أن كلفه أثناء حملة من الحملات الموحدية الأولى بقيادة هنتاتة، وبعد وفاة المهدي قام أبو حفص بدور فعال في المساعي الغامضة التي أفضت إلى تعيين الخليفة الموحدي الأول عبد المؤمن بن علي الكومي [1].

ظل أهل قسنطينة يدينون بالولاء والطاعة للموحدين، و قد حافظ الموحدون على وحدة المغرب الإسلامي قرابة سبعين سنة، ترامت على أطراف المغرب و الأندلس، إلا أن هذه القوة والولاء لم يدوما طويلاً، لأسباب كثيرة، وقامت على أنقاضها ثلاث دول في بلاد المغرب وهي :

1- الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى وحاضرتها مدينة تونس.

2- الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط و حاضرتها تلمسان.

3- الدولة المرينية بالمغرب الأقصى و حاضرتها فاس [2].

(1) روبار برنشفك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص51.

(2) نفسه : ص 70.

إلا أن مدينة قسنطينة هي الوحيدة التي كانت تدين بالولاء للدولة الحفصية التي هي محل دراستنا وبحثنا، مع العلم أن الموحدين و الحفصيين أبناء عمومة، وصلة الحفصيين بالبلاد التونسية ترجع إلى أيام إبنه محمد عبد الواحد ابن حفص الهنتاتي الذي كان صهراً للخليفة المنصور الموحدي، والذي ولاه بعد ذلك الخليفة الناصر بعد المنصور على تلك البلاد التونسية سنة 603هـ/1206م، وكانت افريقية مند بداية عصر الموحدين مركزاً للعناصر المعارضة لدولتهم خاصة بني غانية المرابطين حكام جزر البليار الذين كثيراً ما اتحدوا مع العناصر المقيمة في افريقية كالأعراب الذين جاؤا من مصر و استقلوا بحكم العديد من المدن التونسية، و اضطر خلفاء الموحدين الأوائل إلى محاربتهم إلا أنهم يعودون كلما سنحت لهم الفرصة ولاستقرار أحوال البلاد اختار الخليفة الموحدي الناصر وزيره الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن حفص الهنتاتي، وقد دار حوار بين الخليفة والوالي عن بدء سلطان الحفصيين بهذه الولاية، فقال إن الخليفة الناصر قال للشيخ عبد الواحد :« يا أبا محمد أنت تعلم ما شجمنا من المشاق و الصوائر في استنفاذ هذا القطر، ولا آمن عليه من عدو متوثب، ولا يقوم بحمايته إلا أنا و أنت، فامض إلى حفظ ممالكنا المغربية و أقوم أنا أو أَقم أنت و أرجع انا، فأذعن الشيخ عبد الواحد للإقامة في افريقية واشترط شروطه التي تخول له شبه استقلال بهذه الولاية، وهي أن يقيم ثلاث سنين ريثما تترتب الأحوال و تنقطع أطماع الميورقي ابن غانية عنها، و أن يحكمه الناصر فيمن يبقيه معه من الجند و يرضاه من أهل الكفاية، و أن لا يتعقب أمره في ولاية و لا عزل فقبل الناصر شروطه، ومن هنا و رث الملوك الحفصيون سلطنة تونس و افريقية» [1].

ولقد جاء إعلان الخلافة الحفصية في ظروف سياسية مناسبة، إذ لم تمض سنوات قليلة على قيامها حتى سقطت الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول .

استند الحفصيون في إعلان خلافتهم الجديدة إلى الأسس الشرعية اللازمة في هذا الصدد كالأصل العربي و النسب النبوي، إلى جانب قرابتهم للموحدين، زعموا أنهم من سلالة الخليفة أبي حفص عمر

(1) أبو العباس السلاوي : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى،ج2 ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص202.

بن الخطاب"رضي الله عنه"، وقد تزوج من ابنته حفصة الرسول صل الله علي وسلم، فالحفصيون يعمدون إلى هذا النسب والأصل القرشي، وحرصوا حرصاً شديداً على الاعتزاز بهذا الأصل وإظهاره في كل مناسبة [1].

وفي هذا النسب يقول الشاعر :

قوم أبو حفص أب لهم وما أدراك والفاروق جد أول

خرج أبو حفص عمر بن يحي من قبيلة هنتاتة المنحدرة من نخيل، وابن نخيل كان كاتب لعبد الواحد بن أبي حفص الذي كان يسمى قبل التقاءه بابن تومرت فصكة، كان من بين الأوائل الذين بايعوا المهدي ابن تومرت في يوم الجمعة 14 رمضان 515هـ، هو عبد المؤمن بن علي والشيخ أبو علي و أطلق عليهم بعد ذلك اسم الجماعة، حَملت الدولة أبا حفص ثلاثة نفسه بعد المهدي نفسه وصاحبه عبد المؤمن بن علي، و أعطوه لقب الشيخ الذي لزمه طوال حياته و أخذه أولاده من بعده،[2] إلا أن أبا حفص لم يتول الخلافة بعد ابن تومرت مباشرة بالرغم من أنه كان يتمتع بالمكانة العالية عند الموحدين.

خلع أبوحفص نفسه لوجود إتفاق بينه وبين عبد المؤمن بن علي أن يتولى الخلافة من بعده و هذا ما حصل باتفاق المشيخة و الجماعة،[3] لكن هذا الكلام لا صحة فيه حسب عبد الله العروي، هو في رأيه من كلام الإخباريين، ومجرد صدى وترديد لأقوال سابقة عما جرى بينهما، فلا حاجة فيه ولا واقع إذ من مؤشرات إقتسام السلطة في صدر الدولة بين الدولتين أو الأسرتين أن الخليفة الناصر إستشار عبد الوهاب الحفصي قبل الجواز إلى الأندلس سنة 609 هـ/1212م و لم يأخذ برأيه [4].

(1) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تح محمد شمام، ط2، تونس، 1968، ص 126.

(2) طاهر راغب حسين :الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن، إشراف أحمد شابي كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ،1985، ص60.

(3) إبن خلدون : المصدر السابق، ص 238 .

(4) عبد الله العروي : المرجع السابق، ص 356.

والدولة تشتمل على الأراضي المقابلة لطرابلس الغرب و الجمهورية التونسية وجزء كبير من شرق الجزائر الذي يشمل ولايات بونة (بلد العناب) و قسنطينة و بجاية و تدلس التي تسمى حالياً دلس من الناحية الغربية لها، و ما بعد ورقلة في الصحراء الجزائرية جنوباً، فهذه هي حدودها، وهي كما نلاحظ حدود واسعة مفتوحة، كانت مدينة تونس هي العاصمة الحفصية بينما كانت بجاية و قسنطينة هي قاعدة المنطقة الغربية منها إلى الجزائر الحفصية التي كثيراً ما استقل ولاتها عن تونس و اتخذوا الوزراء والحجاب والكتاب مثل سلاطين تونس الدين أعانهم في الحكم قبيلة هنتاتة الحفصية و أهل تنملل[1].

ب- مرحلة بناء الدولة:

دخل الأمير أبو زكرياء يحي بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد تونس يوم 14 رجب سنة 625هـ، ووجه إلى خلع المأمون كما تمكن من ضم قسنطينة و بجاية سنة 628هـ إلى دولته و قد اختص بنو النعمان من مشيخة هنتاتة بمدينة قسنطينة يستعملون عليها أقرباء هم، و استمر هذا الوضع حتى حكم المستنصر، ومن بين الذين تولوا في مدينة قسنطينة من هذه العائلة، أبو علي ميمون عبد الواحد،[2] كتب الأمير أبو زكرياء إلى جميع بلاد افريقية بخلع أبو العلاء المأمون، وبقي على تونس إلى سنة 634هـ.

كان الأمير أبو زكرياء رحمه الله رجلاً سعيداً حليماً فاضلاً، مدركاً عاقلاً عالماً مجيداً محسناً فصيحاً كاتباً صليب الرأي، له طباع جميلة لم تكن في غيره من الملوك، كان من عداد العلماء و الشعراء والنبلاء ... كانت أيامه أيام خير وسعادة في أكثرها و أدرها أرزاقاً، و أكثرها أفراحاً، نام الناس معه على مهاد العافية، و اكتسبوا الأموال، و أكثروا الغراسات، وجمعت دولته من رؤوس العلماء و أهل الرئاسيات من الموحدين فحول الشعراء و جباة الأموال، ومن ذلك قول أبي عمرو عثمان ابن عتيق مهدوي أبن عريهة

يأتى الزمان الغض ثمت يربع ويضر هذا الدهر ثمت ينفع

(1)عبد الله العروي : المرجع السابق: ص 196.

(2) أبو العباس احمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن قنفد القسنطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيقر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، 1968، ص103.

فلئن طوى بدر الامارة مغرب فلقد جلا شمس الخلافة مطلع

فأضاء بالمرحوم ذلكم الثرى وأنار بالمنصور ذاك المربع [1]

ولد أبو زكرياء سنة 599هـ بمراكش وتوفي بظاهر بونة ليلة الجمعة 27 جمادى الآخرة 647 هـ ودفن بجامع بونة، ثم نقل ثابوته الى قصبة قسنطينة، دامت دولته 29 سنة و نصف خلف من الأولاد أربعة، أبا عبد الله المستنصر الوالي بعده، أبا إسحاق المجاهد الوالي بعد الواثق المستنصر، أبا يحي أبا بكر لم يل الحكم، أبا حفص عمر.

تولى بعده الخلافة المستنصر، بويع أولاً على بونة يوم الثلاثاء 627 هـ، ثار عمه أبو عبد الله اللحياني سنة 648هـ، وبعد سنتين تقريباً تحرك المستنصر إلى بجاية دخلها، و رأى آثار أبا زكرياء بها، إلا أنه كان على خلاف مع أخيه الأمير أبي إسحاق الذي انفصل عنه نتيجة لسياسته التعسفية، إذ كان المستنصر يخافه و سطوته على السلطة لأنه تمكن من عدة مناطق متاخمة لمدينة قسنطينة،كما أبلى البلاء الحسن في محاربة العدو فأصبح المستنصر يرسل الهدايا الضخمة لإبن الأحمر و الأموال الكثيرة ليمسك عنه أخاه، وبوفاة المستنصر صار الأمر لأخيه أبي إسحاق لأن من خلف المستنصر بعد موته لم يكن أهلا للمقام و ليس على دراية بالأمور التي كانت تجري بينه وبين ابن الأحمر الذي حاول النهوض الى تلمسان فجهز الجيوش و سار نحو الغرب إلى أن وصل أمام العاصمة الزيانية، ولما اشتد عليه الحصار غادر المدينة ليلاً [2].

تولى بعده أبو زكرياء يحي الواثق بن أبي عبد الله المستنصر ابن الأمير أبي زكرياء بويع ليلة وفاة والده و هو ابن 28 عاما، كانت ولايته على يد سعيد بن عثمان بن يوسف بن أبي الحسين، لم يبلغ أحد في الدولة الحفصية ما بلغ إليه هدا الرجل من التحكيم، و الاستيلاء.

---

(1) ابن قنفد: مصدر سابق، ص113.

(2) رشيد بورويبة : الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1984 ،ص 432.

حكم الأمير أبي إسحاق بن الأمير أبي زكرياء، عام 678 هـ من بجاية إلى قسنطينة، حيث حاصر قسنطينة وقتل القائد من قبل الواثق بن عبد العزيز، فرحل أبو إسحاق الى تونس وترك أخاه أبا الحفص على قسنطينة التي أبى قائدها أن يفتحها له، لكن سرعان ما عُزل الواثق بن عبد العزيز وولى عليها أبا بكر بن موسى المعروف بابن الوزير البزاري، و لم يذكر ابن قنفد سبب عزله، بالرغم من انه من أهم المؤرخين لهذه الفترة، و بما أنه كان لا ينظر لعواقب الأمور، قليل التلطف واللين عكس الأمير ابي زكرياء استولت العرب في أيامه على تونس، نهبوا الأموال والحريم، و هو أول من كتب البلاد العربية للغرب بالظاهر،[1] وكتب أهل البلاد نفاقاً مشهوداً في المرتد ابن الوزير، كل هذا و الأمير أبو إسحاق غائب عن قسنطينة بتونس وولده الأمير أو فارس ببجاية المسمى(بالمتوكل على الله) كان من أعظم سلاطين الدولة بعد ابيه إستطاع أن يحافظ على وحدتها و ان يحكمها بنوع من الحزم، وما إن اعتلى الحكم ثار ضده أولاد عمه أبي يحي زكرياء في عنابة إنتقاماً لأبيهم الذي قام بحبسه بتونس قبل وفاة والده خوفاً من مطالبته بالحكم [2].

إلا أن جدارة أبي فارس مكنته من القضاء عليه و رد كيده، فقتله و أخاه عمران و أرسل برأسيهما إلى تونس، وولى قسنطينة الشيخ أبا محمد عبد الله بوفيان الهرغي.

ولم يزل سكان قسنطينة مصرين على العناد المضاعف «و كان سلطانها الحفصي أحمد بن محمد بن أبي يحي قد اغتر منها بالمعقل الذي اشتهر فيها بالمعاقل، و المعتصر الذي أعيا تسنمه على الأواخر والأوائل و أرغم أنوف الأحقاب، و أشرف على الأكمام العالية و الهضاب إشراف العُقاب ...و لما استقر الأمر للمولى أيده الله جلس مجلس ملكه المأثورة مكارمه الكريمة، وقع عزمه على بناء أبراج أمام سور الحامة و باب القنطرة و باب الجابية» [3].

(1) إبن قنفد : مرجع سابق، ص138.

(2) مختار حساني : الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية، ج1، دار الهدى، الجزائر، ص211.

(3) إبن الحاج النميري : مصدر سابق، ص 294.

كان السلطان أبو يحي يلازم تونس، إلا في أيام خروجه من بني زيان بقيادة السلطان أبي تاشفين الذي حاول الاستيلاء على مدينة قسنطينة و الديار الإفريقية عدة مرات على مدى عشرة سنوات كاملة، اضطر للرجوع على قسنطينة، كان يتعجب من شجاعة الشيخ خلف الله بن حسن بن قنفد جد صاحب الفارسية الذي كان ينادي بأعلى صوته من يأتي بحجر فله درهم، [1] و فعلا فك الحصار عن بلدتهم، كان هذا السلطان يكثر الجلوس مع معلميه،[2] وكان الأمير أبو عبد الله حاكم مدينة قسنطينة و ابن السلطان كذلك عالماً فطناً ذكياً دخل على فقهاء قسنطينة الثلاث :

- القاضي أبو علي حسن بن باديس.
- الشيخ أبو علي الحسن خلف الله بن قنفد.
- الفقيه أبو علي حسن بن علي المراكشي الحكيم.

ظل ابو عبد الله أميراً على قسنطينة إلى سنة وفاته 739هـ/ 1439 م، فحزنت المدينة على فقدانه سميت سنة 747هـ/ 1447م [3] في مدينة قسنطينة بسنة المثقفين لأن أبناء أبو عبد الله الثلاثة خرجوا مطالبين بالعرش بعد وفاة جدهم السلطان، فبادر القائد النبيل إلى إغلاق باب القصبة حتى ردهم إلى ثقافتهم، [4] كان من أهل قسنطينة أناس عرفوا بتشيعهم للدولة المرينية وتحقق إنقطاعهم للدولة الفارسية.

في سنة 750 هـ/1450م قام الأمير أبو عنان بإرسال صاحب قسنطينة من وجدة إلى حاضرته ليكون حائلا بينه وبين بلاده نتيجة لعدله، وقد عرف بالعفو عند المقدرة والحلم،[5] و كانت حملة مرينية ثانية في عهد أبي عنان و صفها ابن الحاج في كتابه « فيض العُباب و إفاضة أقداح الآداب في الرحلة

---

(1) إبن قنفد : مصدر سابق، ص 160.
(2) نفسه، ص 161.
(3) نفسه، ص 167.
(4) نفسه، ص 168.
(5) نفسه، ص 310.

السعيدة الى قسنطينة و الزاب » [1] قسم أبو عنان جيشه الى قسمين : قسم من الفرسان و المشاة وقسم ثاني يتكون من الأسطول البحري، أحكم الحصار على المدينة و وقع عزمه على بناء أبراج عديدة، لكن الجيش المريني ضيق الحصار على المدينة حتى تمكن من الاستيلاء عليها، و رفرفت أعلامهم فوق الأسوار وعين حسن بن خلف بن باديس خطيباً بالمدينة ، [2] وطرد كل مناوئ إلى فاس و بهذه المناسبة تغنى الشعراء بين يدي السلطان أبي عنان :

قسنطينة لما تمنَع أهلها قضى الله أن يشُقوا زماناً ولم تشقا

وحين تراءت عرة النصر أدعنوا وطارت لنور العدل أنفسهم سبقاً

و برجوع أبي عنان إلى المغرب الأقصى رجعت قسنطينة إلى النفوذ الحفصي [3] وانتهى بذلك عهد السيطرة المرينية و هيمنتها على المغرب الأوسط، وبدأت الهيمنة الحفصية، نتج عنها هيمنة النفوذ الحفصي على المغرب الأوسط، وقد ساعد السلطان أبو فارس عبد العزيز 796-837هـ/1394 - 1433م، الاستقرار الذي عرفته هذه الدولة، فنهض بجيشه نحو تلمسان طمعاً في توسيع دولته [4].

خرج الأمير أبو العباس أحمد ابن الأمير ابي عبد الله بن خالد متوجهاً إلى قسنطينة ولما دخلها تقرب إليه مساعديه من مسقط رأسه وهم الشيخ الوزير أبا إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الوزير أبي الحسن بن ابي هلال، الشيخ الرئيس ابا عبد الله محمد، الكاتب الفاضل أبا الحسن علي ابن زكرياء من بيوتات الأندلس، بويع سنة 676هـ[5] و هو الذي سلم قسنطينة لأبي عنان، و لما وصل خبر حركة أبي عنان إلى قسنطينة بعث أبي العباس أخاه المولى أبي يحي زكرياء إلى تونس، و بعث أبي عنان وزيره فارس إبن

(1) ابن قنفد:مصدر سابق ، ص 313.

(2) نفسه، ص 138.

(3) أبو زكرياء يحي إبن خلدون : بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 236.

(4) عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية إجتماعية ثقافية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 69.

(5) إبن قنفد : مرجع سابق، ص180.

ميمون فنزل محاصراً قسنطينة في 20 رجب 758 هـ،[1] و لما ملك قسنطينة بعث رسله إلى أبي محمد بن تافراجين للأخذ بطاعته و النزول عن تونس، ليؤدب يغمراسن الذي أضطر أن يعترف بالسيادة الحفصية [2].

« كانت الدعوة الحفصية بافريقية قد إنقسمت بين أعياصهم بتونس و بجاية و أعمالها و كان التحكم بينهما بلد عجيسة، و وشتاته، و كان الخليفة بتونس الأمير أبو حفص زكرياء الأول منهم، وله الشفوف على صاحب بجاية و الثغور الغربية بالحضرة،و في عهده بايع بنو زيان،وأصبحوا يدعون لهم على منابرهم باسمه ...» [3].

و كان أبو العباس يتنقل بين بجاية و قسنطينة،تحول إلى تونس وولى القائد فارح على قسنطينة وكلف القائد بشير قيادة الإقليم.

في سنة 830هـ/1427 م بعث ابو فارس محمد بن عبد العزيز صحبة المستنصر محمد المنصور للقبض على والي قسنطينة الحاج محمد الدهان لطغيانه وسجنه بسجن القصبة بتونس، ففرح الدواودة لهذا، وبعد قتل هذا الأخير عين مكانه القائد العلج الذي حكم مدينة قسنطينة بدهاء و حنكة [4].

وضمن هذه الأحداث بدأت المدينة تدخل مرحلة الضعف، و يشير الأستاذ لعروسي أن بداية الانحراف مند عهد أبي زكرياء المؤسس الأول عندما صرف إخوته و أعمامه، و كبار الموحدين عن تولي

---

(1) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1969، ص 97.

(2) يحي بوعزيز : تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 59.

(3) إبن خلدون : المصدر السابق، ج7، ص 97.

(4) محمود آغا بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9 هـ /15 م، منشورات تالة، الجزائر، 1982، ص 13.

أمر السلطنة من بعده و جعل ذلك في أولاده بقطع النظر عن كفائتهم و مقارنتها بكفاءة أهل الشورى من الموحدين [1].

الا أن هذا لا ينفي دورها السياسي الفعال في تاريخ المغرب الإسلامي، بل أنجبت خيرة القادة والسلاطين أمثال المستنصر 675هـ الحفصي الذي كانت أيامه من أعز أيام الدولة الحفصية التي عظمت فيها حضارة قسنطينة و تونس، وكثر ترف سكانها، تأنق الناس في المراكب والملابس، والمباني والآنية فاستجادوها إلى أن بلغت غايتها، إلا أن رغد العيش لم يدم طويلا، [2] وبحلول القرن 14م بدأت عوامل الضعف تنخر كيان الدولة حتى إنتهى بها المطاف إلى تسليم التبعية للإسبان، و من قبلهم العثمانيين الدين خاضوا صراعا في إخضاع العاصمة لهم إلا أنهم إتفقوا على ملاحقة الهجومات الإسبانية، بعد تمكن العثمانيين من شراء بعض الضمائر الحفصية في تونس، إلا أن خيانة الحسن الحفصي فجرت نقمة فسح فيها المجال للعنصر التركي و غادر البلاد، كان السقوط النهائي سنة 1573م.

ج- أسباب سقوط الدولة الحفصية:

- ضعف الحكام في الفترة الاخيرة و إنحرافهم وراء المنازعات.
- تعاون الشعب مع العثمانيين ضد الولاة الحفصيين العملاء للإسبان.
- الصراع بين العلماء والاعتداء على الحبوس [3].
- إتساع الرقعة الجغرافية لحدود الدولة الحفصية.

(1) محمد مطوي العروسي : السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1968، ص 265.

(2) نفسه، ص 244.

(3) للتفصيل أكثر أنظر مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الشرق، ج2، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص139.

- كثرة الحروب ضد الحكم، التي كانت في كل من بجاية و قسنطينة و تقرت ...واستقلال كل من هاته المناطق عن السلطة المركزية.
- النفقات التي لا تقابلها إيرادات غير الضرائب [1].
- ظهور الخطر الاسباني و الذي تمثل في الضرائب التي كان يفرضها ملوك إسبانيا بإعتبارهم ورثة الملك "شارل دانجو " [2] و في هذه الأثناء عقد والي بجاية مع لويس الحادي عشر سنة 887هـ/1482 م، معاهدة بضمان الأمن للجاليات الفرنسية المتواجدة بأرضه، و هذا ما نسميه بالتدخل الخارجي في شؤون الدولة الحفصية، الذي بدأ بإمتيازات [3].

وقد علق الفقيه أحمد الشريف البجائي عن هذا الوضع بقوله « ما جوابكم في موضع كثر فيه الظلم و الأشرار، و إنتشر فيه الباطل، و ذل فيه المسلمون، و عز فيه الكفار، و إرتفع فيه الجور و الظلم، وضع فيه أهل العلم و المعرفة، و تمكس فيه جل المبيعات على المسلمين » [4].

كل هذه الأسباب و أخرى أدت إلى زوال و انحطاط الدولة الحفصية سواءاً بقسنطينة أم بتونس.

---

(1) السراج محمد الوزير : الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح، محمد الحبيب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 202.

(2)Louis de mas – laterie : traites de paisc et de commerce et documemts divers concernant les relations des chretiens avec les Arabes de l'Afrique septentrio ntrionale au moyen age . Plon , paris , pp 21-22

(3) المهدي بوعبدلي : الحياة الفكرية لبجاية في عهد الدولة الحفصية و التركيبة و آثارها، الأصالة، العدد19، الجزائر، 1979 ، ص 142.

(4) أبو عبد الله محمد بن مريم : البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1908، ص 14.

المبحث الثاني : قسنطينة العاصمة الثانية للحفصيين

كانت مدينة قسنطينة من بين الأقاليم التابعة للدولة الحفصية بعد أن عملوا على تقسيم دولتهم الفتية، وتعد القاعدة الحفصية الثانية بعد العاصمة تونس، وهي المدينة التي تعطينا مثالاً عن تطور المدن و إستمرارية البناء في المكان نفسه، وان لم تبرز هذه المدينة في الفترة التي تلت الفتح، ولم يكن لها دور يذكر في القرون الماضية، وقد كان حجم المدينة تدانى كميلة ونقاوس وغيرهما من المدن المغربية الإسلامية لم يتغير مظهرها إلا بالبيوت والمنازل والأحياء الجديدة التي تضاف إلى القصبة [1].

لكن بعد فترة وجيزة ونظراً لموقعها الاستراتيجي و الهام أضحت من أهم المراكز السياسية والثقافية بالمغرب الأوسط، لا تقل أهمية عن تلمسان و القيروان وغيرهما من المدن الإسلامية، تأثر و تتأثر بغيرها وجيرانها.

مند أن خطط أبو زكرياء لتوسيع العاصمة، بنى المسجد وبدأ بتخصيص أسواق للمهن والحرف والصناعات حول جامع الزيتونة، كسوق الصباغين والعطارين و الشماعين و الجلادين و أسواق الذهب و الفضة ... هذا بالنسبة للعاصمة الأم تونس.

وفي سنة 636 هـ دخل أبو زكرياء بلاد الجزائر و بجاية و قسنطينة وولى عليها أبا يحي ثم تحرك إلى تلمسان و اخدها، و بهذا استوفى ضم المغرب الأوسط، والأهم من هذا أنه حصل على أهم القواعد المتواجدة فيه خلال هذه الفترة و هي تلمسان و قسنطينة قاعدة الشرق [2].

لمدينة قسنطينة موقع مهم يربط بين العديد من المدن، و مع بداية العهد الزيري و الحمادي بدأ نشاط هذه المدينة و تشكل مع مدينة القصر الإفريقي ميلة وسطيف نقاطاً لمراقبة القبائل الثائرة على السلطة و أصبحت مقراً للعامل بلباز أخي الناصر بن علناس ثم تولى في عهد المنصور أبي يكنى محصن

(1) الطاهر الطويل : المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، ط1 ، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية، الجزائر، 2011، ص 258.

(2) الزركشي:مصدر سابق، ص 16.

بن العابد والياً عليها في العهد المرابطي، وأصبحت المدينة من أهم الحواضر المغربية وستعرف ازدهارا أكثر خلال الفترات المقبلة، و إزدهاراً واسعاً في معمارها الديني و خاصة المساجد التي تولى تشييدها السلاطين أنفسهم خاصة في الفترة الحفصية حيث ذاع صيتها و أزيح عنها الظلال لتنير المغرب الأوسط و المغرب الإسلامي بصفة عامة [1].

و نظراً لهذه الأهمية، تطرق لها العديد من المؤرخين القدامى والمحدثين، يصفها العبدري حين وصوله إليها أنه البلد الذي أبت الأقدار أن تكون له معينة« بلد الوضع العجيب و الموضع الخصيب، مدينة قسنطينة خير الله صدعها و كفاها من نوائب الدهر ما أوصل فرعها و هي مدينة عجيبة حصينة غير أنها لخطوب الزمان مستكينة، وبها للأوائل آثار عجيبة ومباني مقنعة الوضع غريبة، و أكثرها من حجر منحوث يعجز الوصف إتقانه، و قد دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر ....» [2] ، إشتهرت بنظام تخزين للمواد الغدائية، و ساعد على إزدهار المدينة خلال العهد الحفصي غنى مدن الساحل بثروات ووجود الصناعات و دورها، و توفر الأسواق، هذه العوامل التي يمكنها أن تصنع مدناً يمكن أن تؤدي دوراً أكثر من أن تكون مناطق تجمع للسكان إلى أدوار أخرى حضارية سواءاً في علاقاتها مع الشرق الإسلامي أو بعض جزر البحر المتوسط [3].

السكـان :

أدت أهمية المدينة و نموها إلى إزدياد عدد سكانها الدي بلغ حوالي 40 ألف نسمة يقطنون نحو ثمانية آلاف مسكن، ليترفع هدا العدد أواخر العهد الحفصي إلى ستين ألف نسمة لينخفض هذا العدد و يرتفع إلى نحو تسعة وثلاثين ألف نسمة [4].

كانت المساكن القسنطينية محاطة بأسوار حجرية متينة تخللها خمسة أبواب كبيرة وهي :

---

(1) الطاهر الطويل:مرجع سابق، ص 260.

(2) محمد العبدري البلنسي : الرحلة المغربية، تح، سعيد بوفلاقة، الدار التونسية للنشر،1984، ص 45.

(3) الطاهر الطويل : مرجع سابق، ص 209.

(4) محمد الهادي العروق : مدينة قسنطينة، الدراسة في الجغرافيا و العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص 82.

- باب الوادي في الجنوب الغربي للمدينة.
- باب ميلة في الناحية الغربية.
- باب الحامة في الجهة الغربية أيضاً.
- باب الجابية من الجهة الجنوبية.
- باب القنطرة من الناحية الشرقية [1].

تتوسطها عدة أحياء أهمها حي القصبة، حي رحبة الصوف*

كانت المدينة في هذا العهد عبارة عن مخزن للأقوات من قمح و شعير، حطب ،فحم ، عسل تبقى هذه المواد الغدائية على حالتها الطبيعية لوقت طويل نظراً لحصانة قسنطينة وطبيعتها الصخرية[2].

كانت قسنطينة في هاته الفترة قليلة السكان لا يتعدى عددهم ثمانية آلاف نسمة بسبب قلة الحواضر و المدن، وتغلب الطابع البدوي وحياة الترحال، و كانت عبارة عن بساتين و مراكز فروسية [3] كما اشتهرت بالصناعة الجلدية كالسروج، و الخياطة و صناعة الذهب و الفضة، و العملة التي إختص فيها اليهود دون غيرهم [4].

---

(1) روبار برنشفك : مرجع سابق، ج1، ص 420.

* أنظر الملحق رقم: (02)

(2) الزركشي : مرجع سابق، ص 130.

(3) Ernest Mercier : Histoire de Constantine . Imprime avec le concours . de la société. archéologique . Constantine . 1903.P330.

(4) عبد العزيز فيلالي : مدينة قسنطينة، دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دار البعث، قسنطينة،1984، ص 81.

المبحث الثالث : دور قسنطينة في تسيير دواليب الحكم الحفصي

برزت قسنطينة خلال هدا العهد و بصفة رسمية كحاضرة مغربية لها شأن كبير في تسيير دواليب الحكم الحفصي، ليس السياسي فحسب بل وحتى الثقافي الذي يعد جانباً مهماً في نشأة الدول والقاعدة الأساسية للانطلاق نحو بناء مكانة منشودة في المجتمع، وهدا ما طمح إليه و سعى لتحقيقه قادة وفقهاء الدولة الحفصية و سعوا جاهدين لرفعها عالياً، لتصبح بعدها صرح ثقافي بإمتياز و قد شمل هذا الازدهار عهد السلطان أبي زكرياء و المستنصر الذي كانت أيامه خير على هذه الدولة .

كانت قسنطينة تسير مع مدينة ميلة جنباً لجنب و كانت هذه الأخيرة أكبر متأثر من أحداث مدينة قسنطينة، كانت تابعة لها و تدور في فلكها ، فأمراء قسنطينة هم الدين يعينون ولاة مدينة ميلة في العهد الحفصي لتسير شؤونها السياسية و الاقتصادية، و جلب الضرائب من أهلها، وقد بلغ خراج مدينة ميلة في القرن التاسع هجري زهاء أربعة ألاف دينار، و كان عدد سكانها يبلغ نحو خمسة عشرة نسمة يسكنون نحو ثلاثة آلاف منزل [1].

ساهمت مدينة قسنطينة بشكل كبير في بعض الاستقرار لتونس ، لأن الخلفاء اشتهروا برعاية الأدباء و الفنانين و تأسيس المؤسسات العلمية ، وهذا ما سنتطرق إليه في مبحث خاص .

عمل هؤلاء السلاطين على تنظيم الدولة وحسن تسييرها ،لأنها أصبحت العاصمة الثانية بعد تونس، وكانت كل مملكة مغربية تتجه نحو الانقسام تلقائياً، الحفصية إلى إمارات قسنطينة و بجاية الزيانية إلى إمارتي تلمسان ووهران، المرينية إلى إمارات سبتة، [2] و كانت قسنطينة تطمح للفوز على هذه الإمارات التي ولدت في وقت واحد و ليست من رحم واحد.

(1) عبد العزيز فيلالي ، إبراهيم بحاز: مدينة ميلة في العصر الوسيط، دراسة سياسية ثقافية إدارية عمرانية، دار البلاد للإتصال ،الجزائر ، 1998، ص 34.

(2) عبد الله العروي : مرجع سابق، ص 365.

كما كانت كتابة الدولة تقوم على رجال قسنطينة، فأول من كتب علامته بالحبرة هو أبو زكرياء يحي و أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل قاسم بن حجر من بيوتات قسنطينة، طالت عدوله و كتاباته و محاسنه.

وصف معظم رجال قسنطينة بالخير كما تولوا زمام الأمور، و تعيين الحكام بأنفسهم، و هذا ما حصل أثناء الثورة في وجه أبي فارس الذي ألفت الفارسية بإسمه فأظهروا له العصيان و لأبي بكر الذي تولى بعد أبيه[1] .

لم يكن أهل قسنطينة تبعة في معظم الأحيان يذكر، صاحب الفارسية أن الانتفاضات داخل مدينة قسنطينة على الأمراء الحفصيين، إنما هو من الأمراء المستبدين، بمكن أن تعتمد صحة هذا القول لكن دراية السكان لما يحصل حولهم هو ايضاً دافع لقيام انتفاضات أو انقلابات حول السلطة، لأن السلطان أبي فارس أراد أن لا تكون مدخلة لأهل البلد في تدبيره لأن قسنطينة بلد سلطنة في زمانها لا بلد مشيخة في أركانها.

بالرغم من أن أملاك الدولة من أملاك الحفصيين إنطلاقاً من تونس العاصمة، ثم مدينتي بجاية وقسنطينة التي تعد الممول لتونس، فقد تخوف السلاطين بتونس من حصانة هذه المدينة جغرافياً وبشرياً، وكانت حاميتها قوية، خاصة عندما قام العلج نبيل الذي حكم بدهاء بالاستقلال عن السلطة المركزية بتونس[2].

ولم تكن عين السلطة الحفصية على قاعدتها و قاعدة الزيانيين و المرينيين فحسب، بل ولاحقتهم حتى خارج الأسوار الواقعة تحت تصرفهم، وتراقبهم باستمرار فقد امتدت سلطتها غرباً حتى وهران التي احتلها أبو زكرياء عندما دخل تلمسان عام 641 هـ /1242 م، خلال صراعه مع يغمراسن، فقد بقيت تحت سيطرة الحفصيين عدة سنوات حتى حررها يغمراسن مع تلمسان عام 668 هـ/ 1269 م، وعادت تحت النفوذ الزياني، زارها الشاعر ابن الفقون القسنطيني و أعجب بعمرانها و نشاط

(1) إبن قنفد : مصدر سابق، ص 93.

(2) إبن قنفد : مصدر سابق، ص 95.

سكانها، و حياتها الثقافية و علماءها أمثال أبي تمام الوهراني الذي هاجر إلى بجاية و استقر بها لتدريس العلوم الشرعية والأدبية [1].

استقطبت العاصمة الثانية للحفصيين مجموعة من العناصر الوافدة من بينها الأعراب الهلالية، ساعدوهم في العودة إلى الملك و نفذوا داخل الدولة باستمرار[2].

وثانياً الطائفة الأندلسية الوافدة مثلت جماعة متخصصة تنقلوا بين المناصب وتمكنوا من خدمة الأمراء الحفصيين، احتلوا إدارة دواوين الإنشاء، ارتقوا إلى مرتبة الوزارة لأنهم وفدوا من مجتمع لا عصبية فيه، كان أمنهم متوقفاً من جهة حاجة الأمير لثقافتهم و كفآتهم، كالمؤرخ الأديب ابن الآبار.

وكانت الظروف في افريقية مواتية لإستقبال الهجرات الأندلسية، و كما يقال مصائب قوم عند قوم فوائد لأن افريقية في هذا الوقت شهدت نقصاً في التركيبة السكانية منتصف القرن الثامن للهجرة الذي تزامن مع الإستقرار الذي كانت تعيشه الدولة الحفصية[3].

ورد هذا في قول إبن خلدون « أجاز الله الأعلام و أهل البيوت إلى أرض المغربين و كان قصدهم إلى تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها »[4].

ونظراً لدور هذه المدينة الفعال ترأست ركب الحجيج، حيث قامت الدولة الحفصية بتنظيم حركة الحجيج لأهل المغرب، فقد كان وفد المغرب الأوسط و الأقصى يأتي إلى قسنطينة و يجتمع مع ركب حجيج المدينة، ثم تتوجه الوفود جميعاً في قافلة واحدة نحو البقاع المقدسة في يوم مشهود[5] وبهدا أضحت قسنطينة مركزاً لا يستهان به في منطقة المغرب عامة، بل وصل إشعاعها حتى إلى بلاد المشرق، وهذا ما جعلها محطة لا بد من الوقوف عندها، فهي همزة وصل للعبور نحو المشرق خاصة طريق الحج، فالمسافر

(1) محمد العروسي : مرجع سابق، ص 230.

(2) يحي بوعزيز : وهران، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 47.

(3) محمد العروسي : مرجع سابق، ص 314.

(4) إبن خلدون : مصدر سابق، ص 300.

(5) عبد العزيز فيلالي : جوانب من تاريخ قسنطينة السياسي و الحضاري، محاضرة ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر، ج4، قسنطينة، 19 جوان 1983، ص 46.

المغربي يقصدها قبل أن يقصد العاصمة تونس، وبهذا عندما يعبر قسنطينة لا يخرج إلا ومعه مجموعة من القواعد والأفكار، استحقت بجدارة ان تسمى في بعض الكتابات أم الحواضر بعد أن كانت بجاية هي العاصمة الحفصية بالمغرب الأوسط، آلت هذه الأهمية لمدينة قسنطينة لأن زناتة أكترت عليها الغارات وضايقتها[1].

تكمن أهمية قسنطينة في أنها أصبحت العاصمة الثانية بعد تونس و قد حافظت على هذه المكانة حتى في العهود الحديثة ، لأنها قلعة حصينة فقد إختارها بنو حفص، وضموها ضمن أقاليم دولتهم، إذ كان يعين على رأس إدارتها و الٍ للعهد الحفصي، و أمير مؤهل مع العلم أن خيرة سلاطين وفقهاء هذا العهد ولدوا و نشؤا في قسنطينة، عُرفوا عبر التاريخ بالسياسة العسكرية و الخبرة الإدارية الواسعة والعالية[2].

وكثيراً ما تسبب الأمراء في متاعب للسلطة المركزية في تونس بخروجهم عن الطاعة و تدخلهم في شؤون السلطان، بل وصل الأمر بأمراء قسنطينة أن يحموا و يحرسوا السلطة المركزية إذا حلت بهم نائبة إذ كان من الصعب جداً إجتياح مدينة قسنطينة أو تونس إن تمنع ولاة قسنطينة عن هذا الأم [3]، ففي سنة 668هـ/1269م لما إقتحم النصارى مدينة تونس، وتمكنوا من دخولها فر السلطان الحفصي في هذه الأثناء إلى مدينة قسنطينة، ونقل غليها دخائره، و أمواله و أهله، بعدما قام بترميم أسوارها، و من هذه المدينة

(العاصمة الثانية) أصبحت تسير شؤون الدولة فقد جهز منها جيش قدر عدده بحوالي أربعين ألف فارس[4].

(1) محمد الطمار : الروابط ،مرجع سابق، ص 178.
(2) إبن قنفد : مرجع سابق، ص 90.
(3) نفسه، ص 45.
(4) نفسه، ص 35.

لم تشهد قسنطينة تطوراً و نمواً إلا خلال هذا العهد، و لولا المجال الجغرافي الضيق، الذي لا يتعدى الثلاثين هكتار، و ضيق المسالك المفضية إلى المدينة، و لاسيما الطريق المؤدي إلى باب الوادي و باب القنطرة، لوجد بمدينة قسنطينة معالم ضخمة لا تعد ولا تحصى، فظاهرة تجديد العمران هي ظاهرة انفردت بها المدينة، نظراً لموقعها الجغرافي الضيق و المتميز[1].

و مما زاد في بروز هذه المدينة، الحركة التجارية التي زادت في نموها الاقتصادي خاصة عندما دخلتها سبائك الذهب، ريش النعام، العاج، الرقيق من بلاد السودان.

و قسنطينة، مدينة أخذت تسميتها بمدينة العلم و العلماء بجدارة، فكانت مأوى و مهبط العلماء في مختلف أنواع المعارف، خاصة منها الدينية، و هدا ما سوف نتناوله في الفصل الموالي.

(1) الوزان : مرجع سابق، ص 50.

الفصــل الثــاني

الحياة العلمية في قسنطينة الحفصية

- المبحث الأول: العلوم المتداولة في قسنطينة

أ- العلوم النقللية

ب- العلوم العقلية

- المبحث الثاني: علماء مدينة قسنطينة

من علماء مدينة قسنطينة في بلاد المشرق

- المبحث الثالث: ابرز الأسر العلمية في قسنطينة

المبحث الأول : العلوم المتداولة

من الناحية الثقافية تعتبر مدينة قسنطينة من الحواضر الكبرى المغربية،خاصة خلال الفترة الأخيرة من العصور الوسطى،وبعد أن أصبحت عاصمة لدولة بني حفص مند القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي،لا تختلف كثيراً عن جارتها بجاية او عنابة[1].

شهد المغرب الأوسط أزهى عصوره الثقافية و العلمية، فقد بلغت الحياة الفكرية بجميع أصنافها درجة كبيرة من التطور والازدهار بفضل الحفصيين في مجالات الثقافة والعلم،يبدو أن النهضة العلمية التي عرفتها الدولة كانت منطلقاتها الأولى من سياسة التعليم الرشيدة،فأول عمل قام به أبو زكرياء حين توليه منصب الامارة، إحتط المسجد بالعاصمة تونس.

ساعد على هذا التقدم العلمي وبدرجة كبيرة الهجرة الاندلسية [2] التي تمت على مرحلتين الأولى في منتصف القرن السابع هجري بعد سقوط بلنسية ومرسية وجيان،قرطبة، إشبيلية،و المرحلة الثانية كانت بعد سقوط غرناطة سنة 797هـ،وقد وصفها المفتري بقوله « فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى بتلمسان من وهران و جمهورهم خرج بتونس»[3]. كانت لهم أحياء خاصة قرب الحقول والبساتين.

كانت بداية تألق الحفصيين،و إشعاعهم الحضاري مند أن إستقل أبو زكرياء الحفصي (597-647هـ) بافريقية، لم تمنع الاضطرابات السياسية التي كانت تجري بين الدولة الحفصية وجيرانها الزيانيين والمرينيين من كبح الحياة الثقافية بين سكان مدينة قسنطينة، نظراً لتشبعهم بالثقافة و خاصة منها الدينية،التي حرصت عليها بعض العائلات كعائلة ابن باديس و ابن لفقون و عائلة المؤرخ إبن قنفد.

(1) حساني : المرجع السابق (تاريخ و ثقافة المدن)، ص 97.

(2) مختار حساني : التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر ،2009، ص 48.

(3) أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطب من غصن الاندلس الرطيب،ج3، دار صادر، بيروت، تح، إحسان عباس، 1968، 527.

أ- **العلوم النقلية :**

كان في مقدمة العلوم المدروسة بمدينة قسنطينة العلوم النقلية، عرفها إبن خلدون « العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل، إلا في مسائلها بالأصول »[1].

علوم القرآن :

إهتمت الدولة الحفصية بالدين،عملت على نشر القرآن الكريم و تعلم الحديث، كان مذهب الدولة شأن المغرب معظمه المذهب المالكي،و قد حرصت الدولة على إتباع سياسة الرحمة و اللين والتسامح، مع الأديان الأخرى، و بخاصة الديانة المسحية، إذ سمحت لهم بإقامة شعائرهم الدينية[2].

إهتمت الدولة بالوظائف المتصلة بالدين أطلق عليها إبن خلدون إسم الخطط الدينية الخلافية ومنها الإمامة و الخطابة و الفتيا[3].

طريقة تعلم القرآن تتم لحد الآن بالطريقة التي كانت عليها في السابق، يرتلون السور القرآنية ويكتبونها على الألواح كمرحلة أولى لحفظ القرآن، و تتم هذه العملية في الكتاب، الذي سنتطرق لشرحه في مبحث خاص،بعد كتاب الله إعتمد المدرسين على عدد من الكتب منها كتاب «الكشاف عن حقائق التنزيل» لأبي القاسم محمود الزمخشري، وكتاب «أحكام القرآن » لأبي الحسن علي بن محمد الطبري كتاب «الكشف والبيان في تفسير القرآن»لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، كتاب «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل » لأبي العباس احمد بن عمار المهدوي، وكتاب «الوجيز في شرح كتاب الله العزيز» للقاضي أبن محمد بن عبد الحق بن عبد الغالب بن عطية المحاربي الغرناطي[4].

(1) ابن خلدون عبد الرحمان :المقدمة، ج1، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 340.

(2) إبن قنفد :المرجع السابق، ص118 .

(3) الفتيا : من الوظائف الدينية المهمة و الخطيرة، و الخطورة تكمن في عدم توفر النص أو حكم مسبق لأحد مجتهدي المسلمين، انظر الزركشي :المرجع السابق ص 80.

(4) حساني : الحواضر، المرجع السابق، ص 219.

ينضوي تحت إطار علوم القرآن عدة علوم من بينها، الفقه، علم الحديث،علوم اللغة، كانت العلوم الدينية هي المسيطرة و المستفحلة على العلوم العقلية في غالب الأحيان و هذا راجع لعدة عوامل من بينها، احتلال مدينة قسنطينة لموقع وسط بين العاصمة تونس، و مدينة بجاية من الشمال الغربي، لأنها موقع عبور لطلاب العلم و قوافل الحج، و السبب الثاني،الدولة الموحدية التي قامت على أنقاضها الدولة الحفصية لأن الدولة السابقة كانت تحمل في طياتها بذور نهضة فكرية إصلاحية دينية، مذهبية تحملت فكرة روح الداعي إلى إسلام صحيح، و دعاة الحماسة الدينية، و اصحاب الدعوة إلى الإصلاح [1] .

الفقه :

كان بعض الأمراء حريصين لحضور مجالس العلم، فقد حضر الأمير أبو إسحاق والي قسنطينة مجلس الفقه الذي كان يقوم بالتدريس فيه إبن قنفد، الذي عَلَتْ همته في الجامع ٱلأعظم بقسنطينة فلازم مجلس الفقه، حوالي ستين سنة.

كما كان يعقد مجلس الوعظ يوم الاثنين و الجمعة من كل أسبوع بتونس،و العنبر و البخور يطلقان طوال فترة الدرس، وقدر حرص مقيموا المدارس أن يتحيزوا لمدارسهم أحسن العناصر من العلماء، و أجروا عليهم رواتب منتظمة مغرية، كان المدرسون يتقاضونها كل شهر [2].

مناهج تعليم القرآن بالدولة الحفصية إنقسم في المرحلة الأولى إلى عدة طرق أخذ أهل افريقية منها طريقة وسطى، دلك أن طرق التدريس بالمغرب كانت كثيرة متعددة، فقد وجدت طريقة لأهل المغرب وطريقة لأهل الأندلس، واقتصر تعليم الصغار حتى مشارق الشباب على القرآن الكريم، وما يتصل به من

(1) ألفردبل : الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي، من الفتح حتى اليوم، ترجمة ،عبد الرحمان بدوي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1987، ص 203.

(2) إبن قنفد : المرجع السابق، ص 130.

أمور، أما أهل الأندلس إلى جانب القرآن الكريم، إهتموا بالحديث الشريف و شيئ من الشعر و قواعد النحو والأدب ... و هذه الطريقة شبيهة بطريقة أهل المغرب[1].

شهد الفقه تقدماً ملحوظاً بتقرب السلاطين الحفصيين إلى مجالسهم منهم الفقيه أبو زكرياء بن زكرياء، و الفقيه أبو زكرياء يحي بن أبو إسحاق إبراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني، الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبو الفضل، قاسم بن ابي زيد بن عبد الرحمان بن الحجر، و قد حافظ السلطان أبو فارس على هذه السياسة فقرب إليه الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحجر، أبو عبد الله محمد بن أبو محمد بن أبي القاسم القلشاني، عُين على خطة الإنشاء، الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبو القاسم متولي الجباية، [2] الفقيه بن مرزوق الخطيب الدي مر على تونس في طريقه إلى المشرق سنة 764هـ/1362م[3].

ترك هؤلاء الفقهاء مصنفات عديدة، لكنهم لقوا حتفهم في موتة واحدة، وهم علماء افريقية في بلاد السلطان المريني أبو الحسن (731-759هـ/ 1331 -1348م) بسبب غرق السفينة التي كانت تقلهم من تونس إلى المغرب الأقصى، كان عددهم نحو أربع مائة عالم وفقيه، من خيرة ما أنجبت افريقية و المغرب [4].

وكما بينا أن السياسة الدينية المرنة التي اتبعها مؤسسو دولة الحفصيين وخصوصاً سياسة المستنصر الذي لم يقف في وجه المذهب المالكي، مع اعتباره وريثاً لدولة الموحدين، هي التي بنت صرح علمي لا يستهان به في تاريخ قسنطينة وهذا الموقف يبين وحده مدى تعلق قسم من رعايا الحكومة الجديدة بالإسلام السني، الذي لم يستطع الإصلاح الموحدي القضاء عليه، كما كان المذهب المالكي في عهد

(1) إبن خلدون :المقدمة، ص 308.

(2) حساني : المرجع السابق، 216.

(3) أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب إبن قنفد القسنطيني : كتاب الوفيات، تح عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة و النشر، بيروت، 1982، ص 346.

(4) فيلالي : مدينة قسنطينة، المرجع االسابق، ص 84.

أبو زكرياء و المستنصر، يدرس علناً،كانوا يدرسون علم الفروع بحسب فقهاء المالكية "الموطأ" ، "مدونة سحنون"،"الرسالة لأبن أبي زيد"[1].

كان سبب تعلق الحفصيين بالعلوم الدينية هو خدمة الدارين، الدنيا و الآخرة، كَثُر الأتباع والمنشغلون بها، لأنها توفر لهم وظائف رفيعة بالدولة كالقضاء و الإفتاء والحسبة، إلى أن ظهرت ظاهرة أخرى وهي التصوف، كما أن طريقة الترهيب و الترغيب صارت سائدة في خطب الوعاظ و الفقهاء والدعاة و المتصوفة في مدينة قسنطينة حتى أريافها، فتغلغل التصوف في نفوس أهل قسنطينة و صارت كرامات الأولياء و المتصوفة يعتقد فيها العامة و الخاصة من الناس فيلجؤون إليهم طالبين كراماتهم لحمايتهم من الكوارث [2]. كيف يحصل هذا في مدينة تعج بالعلم و العلماء، و حاضرة من حواضر المغرب الكبير ؟

أهم كتب التصوف،كتاب "رسالة في فضل مكة" لأبي سعيد الحسن بن أبو الحسن البصري وكتاب "قوت القلوب ومعرفة الطريق لمعاملة الحبيب" لأبي طالب محمد بن علي المكي، " رسالة الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري " [3] .

من جملة الكتب التي تدارسها الطلاب الحفصيين :

كتب تفسير القرآن :

-الكشف و البيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي.

-الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي.

-الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري.

(1) الفردبل : المرجع السابق، ص 301-302.

(2) فيلالي : المرجع االسابق، ص 86.

(3)حساني : المرجع السابق، ص 220.

كتب الحديث :

- كتاب جامع البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري.
- مسند مسلم بن الحجاج.
- التمهيد و الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله النميري [1] .

كتب الفقه :

-التهديب لأبي سعيد البرادعي.

-كتاب التفريغ لأبي القاسم عبد الله بن الحسين الجلابي البصري القرطبي.

-التبصير لأبي الحسن اللخمي.

-كتاب المقدمات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد.

كتب اللغة العربية :

-كتاب سبويه.

-كتاب العقد الفريد لأبن عبد ربه.

-كتاب المفصل للزمخشري [2] .

كتب التصوف:

-كتاب أبي الفرج الجوزي.

كتب علم الأصول :

-كتاب الإرشاد لأبي المعالي.

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، محمد بن أحمد شنب، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 26، مدينة قسنطينة، مرجع سابق، ص 100.

(2) العبريني : مصدر سابق، ص 27.

-كتاب المستصفي لأبي حامد الغزالي.

-كتاب جامع الخيرات للإمام سفيان بن عينية [1].

كتب التاريخ والتراجم :

-كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني.

ب- العلوم العقلية :

تنوعت العلوم في العهد الحفصي بتونس، و بما أن مدينة قسنطينة هي العاصمة الثانية،كان لابد أن تنهل من هذا البحر الزاخر،فقد أعجب العبدري بكل من المدينتين، قال في تونس «لا تنشد بها ضالة للعلم إلا وجدتها،ولا تلتمس بها بغية، إلاإستفدتها ...»، وقال في قسنطينة «... وقد دخلتها سائلاً عن عالم يكشف كربة، و أديباً يؤنس غربة..» [2] .

في غالب الظن أن صاحب الرحلة كان يقصد العلوم النقيلة دون العقلية، لأنه لم يفصل في قوله أم أنه كان ميالاً إلى الجانب الديني لذلك لم يتطرق لمعالجة العلوم العقلية فالاهتمام بها عند الحفصيين كان قليل، مثلاً من علماء قسنطينة في جانب الطب نجد الفقيه حسن بن علي والد إبن قنفد الذي ألف كتاب "المسنون في أحكام الطاعون"،كما ظهر في عهد السلطان أبو زكرياء الأول، أحمد بن محمد بن الحشا، أبو جعفر، طبيب تونسي، ألف كتاب "مفيد العلوم ومبيد الهموم " يذكر فيه الألفاظ الطبية الموجودة في كتاب المنصوري لأبي بكر الرازي، يذكر اللفظة وإشتقاقها من العربية أو الفارسية ويوضح معناه، ويأتي بما يقابله في لهجة أهل المغرب، [3] كما أنشأ السلطان أبي فارس بيمارستاناً عظيماً في تونس.

(1) نفس المصدر و الصفحة، أنظر فيلالي، ص 101-102.

(2) محمد العبدري البلنسي ، مصدر سابق ص 135.

(3) جميلة مبطي المسعودي : المظاهر الحضارية في عهد دولة بني حفص مند قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 793هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة، قسم الدراسات التاريخية، جامعة أم القرى، السعودية،2000، ص 214.

وفي عهد السلطان عثمان كان هناك طبيباً يدعى أبو القاسم إبراهيم الأنصاري الدي ألف كتاب "درة السلوك الموضوع لسيد الملوك".

الفلك :

عرف الحفصيون الأزياج، ظهرت مؤلفات في هذا العلم منها مؤلفات إبن الكماد أحمد بن علي التميمي الذي ضبط الأزياج قبل سنة 689هـ/1290م.

-ألف القاضي القسنطيني ابن قنفد في علم الفلك كتابان وهما :

-"تسهيل المطالب في تعديل الكواكب "، وشرح منظومة أبي الحسن على ابن أبي الرجال القيرواني، "كتاب في علم النجوم" أهداه إلى الوزير المريني [1] .

-العالم محفوظ القسنطيني، رحل إلى توات، أول من أدخل علم الفلك إلى جرارة، إهتم بشرح منظومة سعيد السوسي المغربي [2].

الحساب :

إقتصر على تدريس المبادئ الأولية لعلم الحساب،و بعض الكتب المختصرة في المنطق مثل "الجمل" للخونجي إلى جانب عدد قليل من المدرسين في علم التنجيم و الطب،بالرغم من نقص هذا العلم في الساحة الفكرية للدولة الحفصية،إلا أنه يبقى ضروري لقسمة التركات،فكان الطلاب يدرسونه ويدرسون مبادئه الأولية حتى يتمكنوا من معرفته،وكذلك المنطق،كانوا يتدارسون كتابه،الذي ذكرناه و هو كتاب الجمل للخونجي [3].

إلا أن هذا النقص لم يشوه نظرة الدولة الحفصية في مجال الطب بالنسبة لأوروبا فقد فاقها العالم الإسلامي في مجال التطبيب،حيث أرسل ملك صقلية إلى المستنصر الحفصي يطالبه بطبيب لمعالجته.

(1) المسعودي : المرجع السابق، ص 215.

(2) حساني : المرجع السابق، (تاريخ و ثقافة المدن)، ج3، ص 156.

(3) برنشفك : المرجع السابق، ص 314.

علمـاء مدينـة قسنطينـة

1- أبو علي حسن بن علي بن لفقون القسنطيني (بن الفكون) (ت 602 هـ/ 1205م)

كان عالماً فقيهاً أديباً، شاعراً غزير النظم و النثر، كان أحد شيوخ الرحالة العبدري و يقول الغبريني في اشعاره، كأنها أنوار الزهر، رحل إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن كانت جائزته من احس الجوائز، عامله على مدينة بجاية، توارثت عائلته عنه العلم لمدة تزيد عن سبعة قرون، هو من الفضلاء النبهاء، رفيع المقدار، نظم رحلته من قسنطينة إلى مراكش،وعند وصوله زار قبر الإمام المهدي، من مليح شعره :

دع العراق و بغداد و شامـها فالناصرية ما إن مثلهـا بلـد

بر وبحر و موج للعيون به مسارح بان عنها الهم و النكد

حيث الهوى و الهواء الطلق مجتمع حيث الغنى و المنى و العيشة الرغد

والنهر كالصل و الجنات مشرقة والنهر والبحر كالمرآة و هو يد

فحيث نَظرتُ راقت و كل نوا حي الدهر للفكر للأبصار تتقدُ

إن تنظر البر فالأزهـار يانعةٌ أو تنظر البحر فالأمواج تطردُ

يا طالباً و صفهـا إن كنت ذا نصف قل جنة الخلد فيـها الأهـل والولدُ

كما نظم أيضاً ميمية في سادات بني عبد المؤمن [1].

2- قاسم بن يحي بن محمد بن الفقون القسنطيني (965هـ/ 1558م):

(1) الغبريني : مصدر سابق، ص 160.

مفسراً و فقيهاً وقاضياً من اسرة الفقون بمدينة قسنطينة التي تلقى بها تعليمه الأول،ثم إنتقل إلى جامع الزيتونة، إلى أن نبغ في العلوم الفقهية،فاختاره البلاط الحفصي،إماماً بالمسجد الخاص بالأمراء والسلاطين بتونس، و بعد تفرغه و إتمامه لهذه المهنة رجع إلى قسنطينة، حيث تولى القضاء[1].

3- علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفد القسنطيني (ت 733 هـ/ 1333م):

تولى خطة القضاء بقسنطينة، ثم إستعفي فعوفي، كما كان خطيباً،كانت مدة خطبته بقسنطينة نحو خمسين سنة [2] .

4- حسن بن علي بن حسن بن ميمون (750هـ/ 1349م):

تبوأ منزلة العلماء بالمدينة، تعلم بقسنطينة ثم بجاية، رحل إلى المشرق كغيره من العلماء فأدى فريضة الحج، و نهل من علم الحجاز، يعد من أكبر فقهاء المالكية، من مؤلفاته "المسنون في أحكام الطاعون"فصل فيه أحكام المرض، و الأحاديث الواردة فيه، و كتاب آخر "المسائل المسطرة في النوازل الفقهية" [3].

هو من العائلات الغنية بمدينة قسنطينة، درس الحديث عن ابي يعقوب الغماري [4] .

5- حسن بن علي بن ميمون بن قنفد القسنطيني (644هـ/ 1225م):

جد الخطيب المؤرخ، ترجم له حفيده في الوفيات وأنس الفقير، تولى الخطابة ما يعاب عن حفيده أنه وصف جده بالوسوسة [5] .

(1) عبد الكريم الفكون : منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية، تح، ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،2007، ص 50، أنظر فيلالي مدينة قسنطينة، (العصر الوسيط)، مرجع سابق، ص108.

(2) ابن قنفد : مرجع سابق، (الوفايات)، ص 300.

(3) نفسه، ص 255.

(4) حساني :مرجع سابق، (الحواضر)، ص 224.

(5) نفسه، ص 225 .

6- أبو علي حسن بن بلقاسم بن باديس القسنطيني (ت.ق7هـ/ 13م) :

فقيه مالكي من قسنطينة .

7- أبو العباس أحمد بن حسن بن علي، إبن الخطيب إبن قنفد، القسنطيني (810هـ /1407م):

ولد بقسنطينة سنة 740هـ/ 1340م، نشأ في بيت علم وفقه وأدب، حيث كان جديه علي بن حسن ويوسف الملاري، رجلاً علم وخطابة، مع إتجاه جده يوسف إلى الطريقة الصوفية، ساهم ابن قنفد مساهمة فعالة في الحركة الثقافية بمدينة قسنطينة خلال القرن الثامن هجري، حيث قام السلطان الحفصي بتعيينه خطيباً بمسجد القصبة[1].

يرجع الفضل الكبير في تربيته وتعليمه لجده يوسف الملاري، قام برحلته علمية نحو المغرب الأقصى مروراً بتلمسان التي وقف عند زاوية شيخها أبو مدين بالعباد، مُدرس جده الملاري، ثم قصد مدينة فاس أعجب بجامع القرويين، اين تعمق في دراسة العلوم التجريبية و التجريدية لمدة زادت عن 18 سنة وقد أعجب إبن قنفد بمجالستهم، ثم إنتقل لمدينة دكالة.

وبما ان إبن قنفد كان شغوفاً بمختلف العلوم، لم يقتصر تردده على الأضرحة و المساجد فقط، بل وحتى منابر العلوم العقلية، ثم إنتقل إلى مراكش و منزل إبن تومرت، نظراً للأهمية الكبيرة لهذه الشخصية.

تمكن من دراسة العلوم الدينية فعُين قاضياً بدكالة سنة 769هـ/1768، لم يلبث أن رجع إلى مسقط رأسه سنة 776هـ/ 1775هـ*.

لما رجع إلى ابن قنفد إلى قسنطينة، حظي باستقبال حار، و ترحاب كبير عند عائلته و السلطة الحفصية، فتقلد مناصب رفيعة في الدولة كالخطابة والقضاء، لتمكنه وجدارته العلمية التي إكتسبها أثناء

(1) ابن قنفد :مرجع سابق، (الفارسية)، ص 40.

* أنظر الملحق رقم: (03)- (04)

الرحلة، إضافة إلى التدريس و التأليف،[1] إلى أن وافاه الأجل ليلة الجمعة 12 ربيع الأول 809هـ/ 27 أوت 1406م.

بلغت مؤلفاته 27 مؤلف، وقد عدها بعضهم 34 مؤلف، مختلفة في مواضيعها المدروسة، وفيها ما هو مطبوع مثل الرحلة المسماة "أنس الفقير و عز الحقير"، طبعت بالرباط، سنة 1965 م،[2]كتاب "الفارسية" أُهدي للسلطان أبو فارس، و اطلق عليه إسمه، و هو سرد مدقق للأحداث التاريخية المرتبة من بداية الدولة إلى تاريخ إنتهاء الكتاب سنة 806هـ[3].

ترك ابن قنفد مكتبة من المؤلفات تزيد عن ثلاثين مصنفاً في شتى العلوم من بينها التاريخ، الفقه الأدب، دَونها صاحبها في آخر كتاب "شرف الطالب في أُنسى المطالب"[4].

8- أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني (ت. 778هـ/1385م) : إمتاز بغزارة علمه و كثرة شروحه، كان كعادة علماء مدينة قسنطينة، فقيهاً، مالكياً و قاضياً، رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج، و الدرس و التحصيل، مروراً بالقاهرة، أدرك من المعارف في سن مبكرة ما لم يدركه غيره في كبر سنه، قام بشرح كتاب "تقاييد"و نظم قصائد أسماها "النفحات القدسية"، و كتاب "فوائد الدُرر و فوائد الفكر في شرح مختصر السير"، وهو عبارة عن شرح لكتاب "ابن فارس" اللغوي في السيرة.

زار مدينة فاس كانت من أهم الحواضر المغربية، وعاصمة الدولة المرينية، المضادة للدولة الحفصية بعد أن إجتاحها السلطان أبو عنان، و إحتلاله لأهم الحواضر الحفصية بما فيها قسنطينة و بجاية، لكن

(1) فيلالي : مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص113.

(2) عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج2، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 135.

(3) الزركشي :مرجع سابق، ص 390.

(4) فيلالي : مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص114.

هذه الأحداث السياسية لم تؤثر عن العلاقات الثقافية على ما يبدو، أكسبته هذه الرحلات العديد من العلوم و المعارف منها علم الحديث و الرواية و الخط [1] .

من شعره :

إليك صلاح الدين خدها خريدة من الحدر لم تبرز وجلت عن الدعس

ونظمتهـا في مـدة السير عنكـم فأيامهـا مـا بين مصـر إلى القـدس

على خجـل تسعـى إليك مشيـرة لما إلتقطت من دُرِ يُمْناك في الطوس

وأنت لهـــا كفؤ ومولى رواحها تمد إلى الأعضاء في أجمـــل اللُبسِ

وقد إعتنى الناس بحفظ هذه القصيدة الطويلة، بلغت إثنان و تسعين بيتاً [2].

9- أبو علي حسن بن خلف الله بن حسن بن ابي القاسم بن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني (707هـ/ 1307 م):

كان فقيهاً و قاضياً و خطيباً مالكياً تتلمد على الشيخ أبي عبد الله محمد بن غريون البجائي ويعتبر هذا العالم من اكبر علماء بجاية، كم تتلمذ على محمد عبد السلام بن يوسف، و عن علي بن محمد بن عبد الرزاق الجزولي من المغرب، لم يقتصر على الأخد من علماء بلده و الحواضر القريبة منه بل واصل بحثه إلى المغرب الأقصى، و شد الرحال إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، أين إحتك بمجموعة من علماء الحرمين الشرقيين، من بينهم، اثير الدين أبو حيان، إبن جابر القيسي الوادي آشي قال فيه

(1) حساني : مرجع سابق، (الحواضر)، ص 255.

(2) عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت،1980، ص 262.

ابن قنفد : «...شيخنا الفقيه القاضي العدل الخطيب، الحاج المرحوم ابو علي حسين بن خلف الله بن باديس، من بيتات بلدنا، و ممن روينا عنه الحديث و غيره ...» توفي سنة 784هـ[1].

10- عبد الرحمان بن محمد الغازي القسنطيني (ت القرن 8 هـ/13م) :

كان فقيهاً له دراية تامة بعلم الأنساب و التاريخ، من كُتاب العلامة في الدولة الحفصية عهد أمير بجاية يحي بن إبراهيم (683- 700هـ).

11- أبو محمد عبد الله بن محمد بن بليغ الدين القسنطيني (ق 7 هـ/ 13م):

إشتهر بالنحو و العروض، و النظم له قصائد شعرية جيدة[2] .

12- إبراهيم بن وحاد الكومي القسنطيني أبو إسحاق (ق 8 هـ/ 13م) :

شاعر كبير و اديب من أهل قسنطينة، عاش في النصف الأول من (ق 8 هـ)،قال فيه ابن قنفد : «كان من فحول الشعراء، و له في الأمراء الراشدين أمداح مدونة ».

هو أول من كتب العلامة للسلطان ابو العباس أحمد بن محمد الحفصي سنة 882هـ، أحد كبار الملوك الحفصيين بتونس[3] .

13- حسن أبي الفضل القسنطيني أبو علي (756هـ/ 1355م) :

من كُتاب الدولة الحفصية في أيام الأمير أحمد بن محمد، قال فيه ابن قنفد « كان له خط حسن وافق على حسنه كل من وقفه عليه،كالأمير أبو عنان و غيره» [4].

14- أبو القاسم بن الحاج عزوز بن علناس القسنطيني (755هـ/ 1354م) :

(1) ابن قنفد :مرجع سابق،(الوفيات)، 350.

(2) ابن قنفد : مرجع سابق، (الفارسية)، ص 260.

(3) عادل نويهض : مرجع سابق، ص 361.

(4) ابن قنفد : مرجع سابق، (الوفيات)، ص 362، انظر، نويهض، مرجع سابق، ص 261.

يعتبر من أبرز الفقهاء في اللغة و الفقه من أهل قسنطينة، له مؤلفات و مصنفات عديدة عبثت بها يد الزمان منها "مختصرحسن الفرائض"[1].

15- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن محمد شهاب الدين الخلوف (ت 899 هـ / 1394 م):

شاعر أديب و ناشر، أصل عائلته من فاس، ولد بمدينة قسنطينة سنة 829 هـ، حفظ القرآن الكريم و مختلف علوم دلك العصر و فنونه في بيت المقدس، أين لازم أبا القاسم النوري المشهور بالفقه و العربية و الأصول، تعلم على يد شهاب بن أرسلان، و العز القدسي ثم إنتقل إلى القاهرة أين أخد النحو والصرف و المنطق على الشيخ العز عبد السلام البغدادي، و ممن تعلن منه اللغة العربية و آدابها في بلاد المغرب الشيخ أحمد السلاوي و قال عنه إنه "أحفظ من لقيته بها"، إستكتبه المولى المسعود بن صاحب المغرب عثمان حفيد أبو فارس الحفصي، ولي عهد أبوه الملقب بذي الوزارتين نظم ميمية سماها مواهب البديع في علم البديع أولها :

أمن هوى ثوى باللسان والقلم هلت براعة مزنى الدمع كالضم

ومن مؤلفاته أيضاً " جامع الأقول في صيغ الأفعال"،"تحرير الميزان لتصحيح الأوزان" كما قام بمدح النبي صلى الله عليه وسلم و ملوك بلاده [2].

16- عمر بن محمد بن الكماد القسنطيني المعروف بالوزان (ت 960هـ/ 1557م) :

فقيهاً صوفياً، معروف بمشاركته في العلوم العقلية والنقلية عاش نهاية العهد الحفصي، له كرامات إعترف بها أهل قسنطينة، تتلمذ عليه كثير من الشيوخ منهم عبد الكريم الفكون، وأبو الطيب العسكري من مؤلفاته "البضاعة المزجاة"، حاشية على شرح الصغرى السنوسي، وكتب فقهية أخرى أبدع فيها، قال عنه عبد الكريم بن لفقون: «كان بحراً لا يجار في العلوم فقهاً و أصولاً ونحوا وحديثاً» [3] .

(1) فيلالي :مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص 126.
(2) الفكون : مصدر سابق، ص 36.
(3) نفسه ، ص 37.

17- عاشور بن عيسى القسنطيني (974هـ/ 1586م) :

عالم و رحالة من فقهاء المالكية بقسنطينة، جال في بعض الأقطار الافريقية ثم إستقر بتونس وأخد عن علماءها[1].

18- أبو القاسم بن محمد الوشتاتي، ومحمد بن عبد الرحمان أبو القاسم القسنطيني[2].

– من علماء قسنطينة في بلاد المشرق :

19- أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم رضي الدين القسنطيني (695هـ/ 1296م):

يعد أحد كبار اللغة العربية و النحو عالماً بأسرارها، كانت له معرفة تامة بالفقه و الحديث و أصول الدين، إنتقل إلى القاهرة، حيث أخد اللغة عن الشيخ ابن الحاجي، و إبن عبد المعطي سمع الحديث عن ابن عون الزهري، من تلاميذه رشيد السبتي و أبو حيان« كان من كبار أئمة القاهرة، صالحاً خيراً ديناً متواضعاً، ساكناً ناكساً أُضِر بآخر عمرِه» [3].

20- علي بن عبد الله بن ابي بكر الطيب، زين الدين أبو الحسن بن القلال الجزائري (667هـ/ 1280م): من كبار المقرئين، عالم و فقيه مالكي، قرأ بمصر على الصفراوي، و قرأ علي ـه جماعة من أهلها [4].

21- محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان، أبو القاسم القسنطيني (809هـ/ 1445م) :

من كبار فقهاء المالكية وقضاتها، رحل إلى الحجاز و استوطن بالمدينة المنورة للاحتكاك بكبار العلماء المشارقة لأنه كان يعلم أن البقاع المقدسة هي ملتقى لكافة الأجناس المسلمة، «حمده أهلها

(1) عادل نويهض : مرجع سابق، ص 262.
(2) السخاوي : مصدر سابق، ج2، ص 288.
(3) نفسه، ج3، ص 242.
(4) نويهض : مرجع سابق، ص 265.

بحيث رأيتهم كالمثقفين على ولايته، و بلغني عنه أحوال صالحة، ومع تقدمه في العلوم، أقرأ الطلبة في الفقه و العربية، و غيرهما » [1].

22- أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمان بن شهاب الدين القسنطيني (813هـ/1410م) :

عالم بالعربية و الحساب و المنطق، مشارك في علوم التاريخ، و الفقه و المعاني و البيان، رحل إلى المشرق سنة 833 هـ، زار المشرق عدة مرات، أخرها سنة 864هـ، أين إلتقى بمجموعة من الشيوخ أخد عنهم، ثم استوطن مكة إلى أن توفي بها[2].

23- سالم بن سعادة الله بن طاجين القسنطيني (ت 820هـ/ 1417م) :

كان شاعراً كثير النُظم، تنقل كثيراً بين القاهرة و الإسكندرية لملازمة شيوخ الأزهر له أناشيد وحكايات، و على ذهنه فنون، تردد مراراً على العالم و المؤرخ المقريزي [3] .

24- أبو الفضل المشدالي : (حوالي 820هـ):

ولد في بجاية ثم توجه إلى قسنطينة، زار العديد من حواضر المغرب الإسلامي للتدريس و من تونس ركب البحر للاتصال بالمشرق الإسلامي، فدخل بيروت، و دمشق، و تجول في طرابلس و الشام، ثم سكن القدس سنة 847هـ، تصدر للتدريس في عدة فنون و لاسيما الفقه المالكي، مدحه السخاوي بما يشبه أخلاق كبار العلماء و نوادر الحكماء ... دانت له المملكة المصرية، و الأقطار الشامية، من

(1) السخاوي : مصدر سابق، ج2، ص 290.
(2) نويهض : مرجع سابق، ص 360.
(3) السخاوي : مصدر سابق، ج3 ، ص 242.

تلامذته في الحجاز " البرهان بن ظهير" وفي الشام " ابن قاضي علجون " توفي سنة 864هـ، و لو طال به الزمن حتى بلغ السبعين أو أكثر لكان له دور أكثر قوة[1].

25- قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني (ت 849هـ/ 1445م) :

يعد من العلماء المحدثين، و القهاء البارزين، قرأ القرآن على شيوخها، كما أخد الفقه عن الشيخ العالم عبد الرحمان الباز ومحمد الزلدوي قاضي قسنطينة.

26- أبو إسحاق إبراهيم بن قائد بن موسى الزواوي(ت 857هـ/ 1458م) :

أخد العلم عن الأستاذ الإمام عبد العالي بن فراج، أخد علم الأصلين و المنطق على يد حافظ المذهب الأستاذ أبو زيد عبد الرحمان الملقب " بالباز" ، قام بشرح " ألفيه ابن مالك" و تلخيص المفتاح في مجلد سماه " تلخيص التلخيص"، أخد عنه أسهاب بن يونس ولقيه أبو الحسن برهان الدين سنة853هـ/ 1449م، بمكة المكرمة التي مات بها[2].

27- أحمد ن يحي بن عيسى بن عياش بن إبراهيم الكوعلي (ت 860هـ/ 1455م):

من كبار رجال الصوفية، تدرج فيها بمكة المكرمة إلى أن أصبح شيخاً من شيوخها«كان ماهراً في آلات النجارة» [3].

28- أبو زكرياء يحي بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون العلمي (ت 888هـ/1483م) :

عالماً بأصول الدين، متضلعاً في اللغة العربية و المنطق، درس بتونس ثم إنتقل إلى المشرق، أصبح

(1) أحمد أبو عصيدة البجائي : رسالة الغريب إلى الحبيب، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،2005، ص 30-31-32.

(2) السخاوي : مصدر سابق، ج10، ص 217.

(3) السخاوي : مصدر سابق، ج8 ، ص 296.

أستاذ بالمنصورية في مصر، وجامع الأزهر قال عنه السخاوي «لقيته بالقاهرة، ثم مكة، وبالغ في التواضع معي و الإقبال علي » [1] .

29- طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني (ت 940هـ/ 1523م) :

الشيخ الفقيه الولي الصالح العارف بالله نزيل المدينة المشرفة، أخد عن الإمام القطب العارف بالله سيدي أحمد رزوق، وعن ولده الشيخ أحمد رزوق الصغير، و أنتفع بهما، له تآليف منها "نزهة المريد في معاني كلمة التوحيد" في ثلاث كراريس، و له رسالة القصد إلى الله في كراسين [2].

(1) نويهض : مرجع سابق، ص 240.

(2) محمد بن مريم التلمساني :البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تح، عبد الحميد حاجيات، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص139.

المبحث الثالث: أبرز الأسر العلمية في قسنطينة

أدت الأسر العلمية دوراً بارزاً مهماً في إرساء قواعد الثقافة القسنطينية إذ نجد مجموعة لا يستهان بها، توارثت العلم بهذه المدينة، من بينها.

عائلة إبن الفقون، وهي عائلة علمية شهيرة بقسنطينة، يرجع أصلها إلى فقونة، قرية بجبل الأوراس و الذي أدى الدور الكبير في هده العائلة هو الشخصية عبد الكريم الفقون، و حفيده عبد الكريم بن الفقون 988هـ، كان له باع طويل في ميدان الثقافة و التأليف والإتصال بالعلماء في عصره، فقد كان رئيس ركب الحج إلى البقاع المقدسة[1].

عائلة آل قنفد، وهم بطن من قبيلة "أسجع " العدنانية التي كان أهلها يُسمون بآل قنفد بن حلاوة بن سبيع بن أسجع[2]فالعرب قديما كانوا كثيراً ما يتخدون من أسماء الحيوانات ألقابا لهم، لأسباب إعتقادية، من أشهر علماء هذه الأسرة أبو العباس أحمد الخطيب المعروف " بابن قنفد" 740هـ/1340م، نشأ في بيت علم و فقه و أدب، فقد كان والده حسن بن علي (664هـ) فقيهاً كما كان جده (ت 733) خطيباً بارعاً[3].

بدأ أبو العباس أحمد الخطيب تعلمه بمسقط رأسه على يد والده، لكن الوالد توفي و أبو العباس لا يزال صغيراً، فكلفه جده لأمه يوسف الملاري (ت 764 هـ/ 1363م) الدي يعد من مشاهير الصوفية في مدينة قسنطينة، و قطباً من أقطابها المربين الروحيين المعتقد فيهم، خريج مدرسة أبو مدين الغوث صاحب زاوية الملارة بفرجيوة،[4] و بما أن جده الملاري كان مؤدباً روحيا فقد إعتنى بحفيده عناية خاصة حرص على تلقينه العديد من العلوم و المعارف، لهذا كان ابن قنفد يكثر الافتخار به، أهله إجتهاده

(1) سليمان الصيد : نفح الأزهار عم في مدينة قسنطينة من اخبار، الطباعة الشعبية، الجزائر،2007، ص17.

(2) إبن قنفد : مصدر سابق، (الفارسية)، ص 40.

(3) نفسه : ص 42.

(4)تبعد عن مدينة قسنطينة بيومين، انظر فيلالي : مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص111.

وحبه للعلم، للارتحال في طلب العلم، فتوجه نحو المغرب الأقصى للإستزاده في المعارف، مروراً بمدينة فاس عاصمة بني مرين حيث وجد ظالته المنشودة في جامع القرويين، فأخد يتعمق في دراسة العلوم التجريبية والتجريدية، لمدة زادت عن ثمانية عشر سنة، إلتقى خلالها بعلماء ذلك العصر و بأقطاب التصوف وشيوخه في مناطق عديدة من المغرب الأقصى، لأن هذا العصر تميز بانتشار الفكر الصوفي و هيمنته على عقول الناس [1] .

وبعد التجول في مناطق عديدة من المغرب الأقصى بما فيها مراكش، دكالة، آسني، سلا،كان لا يتعدى سن تسعة وعشرين سنة، بعد عشر سنوات قضاها في المغرب الأقصى إلى غاية سنة 776هـ/1375م، قرر العودة إلى مسقط رأسه مدينة قسنطينة [2] .

و لما عاد ابن قنفد إلى مدينته وجد لنفسه مجالاً طيباً عند عائلته، وعند البلاط الحفصي عموماً ولنظر لتشبعه بالعلم أُسْتدعي لتولي عدة وظائف وخطط سامية بقسنطينة، فتقلد الخطابة بجامع القصبة، و هو مسجد الأمراء و الافتاء، و خطة القضاء و التدريس، و هي الوظائف التي ظل ابن قنفد يشغلها إلى أن أدركته الوفاة سنة 810هـ/ 1408 م.

كانت علاقة هذه العائلة مع السلطة الحفصية حسنة، و هو ما جعل ابن قنفد يعتز و يفتخر بانتماءه لها، و كان افتخاره أيضاً برضا سلاطين بني حفص عنه و عن أسرته فقدكان الحفصيون يقدرون جده الملاري، و يتبركون بمجالسه، قال عنه السلطان أبو العباس أحمد الأول 750هـ/ 1349م«ما رأيت بعد سيدي أحداً » [3] و قد تكفل الملاري بمهام دبلوماسية، كان هذا عند ما كلفه السلطان أبو يحي أبو بكر الحفصي (718هـ/1318 م) بإبرام معاهدة هدنة إخاء وحسن الجوار مدتها

(1) فيلالي : مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص112.
(2) نفسه : ص 113.
(3) نفسه : ص 115.

عشر سنوات، هدا لأن الشيخ الملاري يحضى باحترام بني زيان، وكثير التردد على مدينة تلمسان لزيارة أبي مدين بالعباد، و قد أهداه إمام المسجد و القائم على الضريح قطعة من عكاز أبي مدين الغوث.

كان السلاطين الحفصيين لا يرفضون له طلباً، و هو الذي إختار "لقب المتوكل على الله " لسلطان أبو فارس « ووضع الله له القَبول عند الأمراء و أعانهم على ما يرضاه عنهم، و عند ولاتهم في قضاء الحاجات، و قبول الشفاعات، وكف المدعي عليهم بالجنايات » [1] .كان يفشي السلام، و يطعم الطعام، والصلاة بالليل و الناس نيام.

أما بالنسبة لأبيه فقد كان من المقربين للأسرة الحاكمة، خلف أباه في الخطابة بجامع الأمراء بالقصبة، وصار الامام المفضل لبني حفص وسفيرهم المبجل للمهمات الدبلوماسية الصعبة، فقد استطاع إخراج بني مرين من مدينة قسنطينة [2].

كانت أمه" ابن قنفد" هي المفضلة عند الأسرة، و الأصدقاء و الأحباب لأنها بنت الشيخ الملاري، و حتى أمها معروفة بالصلاح، وحسن المعاملة.

عُرِفَتْ هذه العائلة بالثراء، وقد إستغلته في أحسن الأمور، لدرجة أن والد ابن قنفد كان يدفع مرتبات الشيوخ الذين توقف الدولة رواتبهم، كما فعل مع الشيخ أبي علي حسين البجائي، [3]و عين الشيخ أبي عبد الله محمد الصفار صديق العائلة كمدرس لأخوات ابن قنفد، فكان يعلمهن القرآن الكريم، و لا تفارقه إحداهن حتى تختم و تكرر ثلاث مرات، و هذا دليل على حرص آل قنفد الشديد على التعلم و خاصة العلوم النقلية عماد الدنيا والآخرة [4] .

(1) ابن قنفد : مصدر سابق، (الفارسية)، ص 164.
(2)نفسه : ص 170.
(3) نفسه : ص 48.
(4) نفسه : ص 46.

لم تكن هذه العائلة الوحيدة من بين العائلات العلمية بمدينة قسنطينة، بل كانت هناك أسر عريقة و متجدرة، كعائلة إبن الوزان، و عائلة ابن الخطيب وعائلة إبن عبد الجليل [1].

وعائلة ابن باديس التي توالت الإمامة والقضاء من البيوتات القسنطينة، و أشرفها، و ممن له رياسة في المدينة، من علماء هذه الأسرة " أبو العباس أحمد " المدعو حميدة بن باديس، له خلف سالف، علق عليهم بقوله، أن أفراد عائلة ابن باديس من قسنطينة تميزوا عن غيرهم بأنهم قصد السبق في الدراية والمعرفة و الرواية، ناهيك عن الإصلاح، يقال عن هذه العائلة «إجتمع فيهم أربعون كلهم صاحب منصب عارفاً بالمناصب الشرعية لبلدهم» [2] .

نُسب إلى مدينة قسنطينة علماء و أُسر من أصل مغاربي و أندلسي، ساهموا مساهمة فعالة في حمل مشعل العلم و المعرفة، تقلدوا خطط ووظائف سامية في الدولة كعائلة آل عبد المؤمن القادمة من درعا خلال القرن (9هـ/15م) إستقروا في بادئ الأمر بمدينة بسكرة، ثم إنتقلوا إل مدينة قسنطينة، فاشتغلوا بالتعليم، و تدرجوا في طلب العلم و الوظائف السامية الدينية، إلى أن اصبحت لهم سلطة كبيرة، أدبية و دينية واسعة في أوساط المجتمع القسنطيني، نالوا لقب المشيخة و امارة ركب الحج، و هي من اهم الوظائف في الدولة الحفصية، [3] هذه الوظائف التي تكاثف على إرساءها العديد من الأسر مختلفة الأجناس، عربية أو بربرية أسهمت في تاريخ افريقيا عموماً السياسي و الثقافي، و من دلك بنوتافراجين،[4] خلال عهد الدولة الحفصية، كان أول من هاجر إليها كبيرهم عبد الحق إلى تونس حاضرة الحفصيين، أُسْتقبل بالحفاوة نظرا لأصله العريق[5]و العديد من المؤرخين يُرجع دور هذه الأسرة إلى الجانب السياسي بدلا من الجانب الثقافي، إلا أنني رجحت دورها الثقافي، لأن معظم النازحين إلى الدولة

(1) سليمان الصيد : مرجع سابق، ص 17.

(2) حساني: مرجع سابق، (موسوعة المدن)، ص 112.

(3) فيلالي : مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص 79.

(4) أسرة بربرية : أصلهم من قبائل مصمودة بالمغرب الاقصى، لمع إسمهم مند عهد الموحدين.

(5) كمال السيد أبو مصطفى : دراسات في تاريخ وحضارة المغرب و الاندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية،1998، ص 11.

الحفصية من الأندلس حملوا معهم ثقافة واسعة في جميع المجالات، إستطاعوا أن يتقلدوا بها المناصب الدينية و السياسية، أمثال إبن الآبار صاحب "كتاب التكملة"، والعديد منهم كان كاتب العلامة للسلطان في البلاط الحفصي.

وقد ساعد على توافد هده الأسر العلمية العديد من العوامل أولها، إهتمام الأمراء بقسنطينة وأهلها، وهذا ما جعلهم ينعمون بالاستقرار، و يحسنون العطاء سواءاً، العائلات ذات الأصل القسنطيني أو العائلات الوافدة على البلاد بسبب الأحداث السياسية خلال هذه الفترة.

إهتم إبن قنفد بالتحدث عن هذا الوضع، و كيف كان السلاطين يقدرون الأسر العريقة و العلماء ووجهاء القوم، فضلاً عن هذا كانوا يفضلون الاقامة بقسنطينة عن غيرها، لدرجة «أنهم يعرفون السكان بالعين والاسم»[1] فزادت رغبة هذه الأسر في نشر العلم وتأسيس المكتبات الدعامة الأساسية للمنظومة التعليمية، إذ كانت مكتبات كل من الأسر المذكورة سابقاً تزخر بالكتب و المصنفات العديدة، و تعتبر أسرة ابن لفقون بمدينة قسنطينة من الأسر التي اعتنت بتكوين مكتبة خاصة احتوت على ما يزيد عن أربعة آلاف كتاب، من أمهات الكتب [2].

وقد زاد في إثراء هده المكتبات هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب وافريقية حاملين معهم مكتباتهم، و مصنفاتهم، خوفاً من ضياعها، و نهب الاسبان لها و مصادرتها كما تربعت هذه الطائفة على عملية النسخ [3]. حتى ظهر العديد من الخطاطين و النساخين في المدينة، كانت دكاكين الخاصة تعرف بالوراقين، يتردد عليها الناس للاستمتاع بالأدباء و العلماء و الشعراء، بحيث كانت هذه الأسواق منتدى فكرياً للطبقة المثقفة ومكاناً محبباً لإقامة الندوات العلمية والأدبية.

(1) ابن قنفد : مصدر سابق، (الفارسية)، ص 169.

(2) أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر، (20/16) ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1899، ص 250.

(3) طغى الخط الأندلسي في العهد الحفصي على الخطوط الأخرى، ونُسي حتى خط القيروان، انظر ابن خلدون، العبر،ج6، ص750.

تواصل الأمداد العلمي لهذه الأسر حتى القرن السادس عشر ميلادي متنافسة فيما بينها، إبتداءاً من القرن التاسع ميلادي، مثل آل بادي آل لفقون، و آل عبد المؤمن اللتان تولتا القضاء و ركب الحج حتى دخول الأتراك إلى المدينة، وآل باديس التي بقيت آثارها حتى العهود الحديثة، منها العلامة عبد الحميد بن باديس رائد حركة النهضة ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إضافة إلى بعض القبائل و الأسر ميسورة الحال، التي لم يكن لها باع طويل في العلم، إلا أنها ساهمت و لو بقدر قليل.

الفصـل الثالث

المؤسسات التعليمية و العلمية في قسنطينة

- المبحث الأول : المساجد و الكتاتيب
- المبحث الثاني : الزوايـا
- المبحث الثالث : المدارس و المكتبـات

المبحث الأول : المساجد و الكتاتيب

بدأت المؤسسات التعليمية و الدينية تظهر بالجزائر ، وكل بلدان المغرب الإسلامي، منذ القرن الأول الهجري، السابع ميلادي، عندما وصل إليها الإسلام على أيدي الفاتحين المسلمين الأوائل، و كان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت بالتدريج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته وخففت عنه بعض الأعباء وهي،المدارس العلمية، الكتاتيب القرآنية، و الزوايا.

يعتبر المسجد أو الجامع، القاعدة الأولى لهذه المؤسسات التي تنوعت بتنوع وظائفها، وتطورت مرتبطة بظروف الحياة السياسية والاجتماعية، ومن هنا تبرز أهميته في دفع حركة التعليم و تطويرها، ففي المسجد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم، سفراء الدول لتنظيم علاقتهم بدولهم، وفيه يخطب المسلمون شؤونهم و في عهد الخلفاء الراشدين كانوا يعلنون من منبره الأحداث التي تواكب الفتوحات،فقد ساعدت هذه الأحداث أن يكون مؤسسة علمية عالية [1].

لقد اعتنى الحفصيون ببناء المساجد كاعتنائهم بالدين، وهذا نابع من كون العادات والتقاليد في بناء التجمعات السكانية في العهد الإسلامي، تدور كلها حول هذه المؤسسة الدينية، والاجتماعية التي تهدف إلى غرس القيم و الأخلاق في نفوس السكان، و هذه من ابرز صفات الحضارة العربية الإسلامية التي تهدف إلى الخير.

ومن بين المساجد المتواجدة وسط أحياء مدينة قسنطينة، منها ما يلي:

1 -المسجد الكبير بقسنطينة، بالرغم من أن هذا المسجد تعرض للترميم و التشويه فإنه لا يزال يحمل بعض المميزات من تيجان الأعمدة، و القباب، والزخارف، و المحارب، وهذه الزخارف تشبه إلى

(1) سعاد فويال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص7.

حدٍ ما تلك التي نجدها بمساجد تونس، لأن علاقة تونس مع قسنطينة في العديد من النواحي، كان له الأثر الكبير، في تلاقح الثقافات [1] .

2 - جامع القصبة .

3 - الجامع الكبير بالبطحاء.

4 - مسجد أبي عبد الله الصفار، بالقرب من باب القنطرة.

5 - مسجد سيدي الحسن بن مخلوف[2].

6 - مسجد سيدي النقاش برحبة الجمال، استخرجت منه في العصر الحديث عدة شواهد للقبور تحمل أسماء شيوخ وفقهاء.

7 - مسجد سيدي محمد بو عبد الله الشريف بباب الجابية.

استمدت العمارة الجزائرية التمثلة في المساجد و الزوايا، طريقتها من حضارة الأندلس، هاته الحضارة التي جلبت معها أيام الحفصيين و الزيانيين معاً، الصناعة، وفن البناء فكان تأثيرهم عظيماً. [3]

للمسجد موظفون كثيرون، من أئمة و خطباء، ومؤذنين، وحراس، ومدرسين وقراء حزب، و أهل إفتاء فضلاً عن المتطوعين للتدريس و الإرشاد، فهو عبارة عن جامع أو معهد عالي، بالإضافة إلى كونه مؤسسة للعبادة، كما يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، و كانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة، يجتمع فيه الآباء لتدبير زواج أبنائهم و بناتهم، و تُمضي فيه العقود التجارية، و تأخذ إليه الجنازة قبل الدفن للصلاة على الميت.

لكن ما يلاحظ عن دور المسجد خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وخاصة مناهج التدريس فيه، قد إتسم بالضحالة مركزاً على طريقة الإملاء، و الإلقاء و الشفوع بالشرح، قلما يلجأ مشائخ العلم إلى النقاش و التحليل، إلا أن عقم المنهج لم يمنع المسجد من مواصلة أعماله، و لو

(1)سعاد فويال، مرجع سابق، ص 26

(2) برنشفك: مرجع سابق، ص 240.

(3) سعد الله : مرجع سابق، ج2 ،ص 200.

بالقليل،[1] لأن السلاطين الحفصيين كانوا حريصين على ظاهرة الوقف على المساجد، إذ يُنْسَبُ للأمير أبي يحي أبو بكر الذي بويع بقسنطينة 711هـ/1311م، حَكم الدولة الحفصية إلى غاية وفاته سنة 747هـ /1346م«تحبيسه الربع المتربع على الجامعين بقسنطينة» [2] .

ونفس الأمر بالنسبة للسلطان عبد العزيز (796هـ/1393م) الذي يعد من أهم سلاطين الدولة الحفصية، بادر بمجموعة من الإصلاحات سنة 801هـ/1398م بمدينتي تونس وقسنطينة،حيث حبس عدداً من الأملاك على فندق قسنطينة الذي حُول إلى مسجد أو زاوية[3].

كما يُستعمل الوقف لأغراض كثيرة منها العناية بالعلم و العلماء و الفقراء، فهو مصدر عيش للزوايا و المساجد و غيرها من المؤسسات الدينية، و من جهة أخرى أدى المسجد دوراً بارزاً في الحياة الإجتماعية حيث أبرز تضامنالفئات الاجتماعية كالأشراف و أهل الأندلس[4].

الكتاتيب:

كانت المساجد هي المؤسسة الوحيدة التي تستقبل الطلبة، و المصلين، و تعقد في المسجد الواحد عدة حلقات تؤدي في بعض الأحيان إلى حدوث ضجيج دال المساجد يعرقل القراء والمصليين، ولهذا السبب فكر المسلمون في إنشاء مراكز أخرى للتعليم أُطْلقَ عليهااسم الكتاتيب، و في غالب الأحيان الكُتابْملحق للمسجد لأن دوره ليس ببعيد عن دور المسجد.

وظيفة الكتاتيب، هي تحفيظ القرآن الكريم للأطفال، و ترتيله لهم، و قد دعت الحاجة لتأسيسها من أجل تجنيب المساجد من ضوضاء الأطفال، و أوساخهم، و الاحتفاظ بنقاوتها، ظهرت الكتاتيب بالمدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انتشرت في سائر البلدان الإسلامية، يتلقى الأطفال

(1) محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، ج1 ، جامعة تونس الأولى، 1999، ص708.

(2) ابن قنفد: مصدر سابق، (الفارسية)، ص 163.

(3)عبيد بوداود:الوقف في المغرب الاسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق 13-15م)و دوره في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2011، ص177.

(4) سعاد فويال: مرجع سابق، ص 22.

داخل الكتاتيب قواعد تلاوة القرآن، و تجويده، و ترتيله على الروايات السبع، و يحفظون بعض المتون الفقهية، مثل ألفية بن مالك، و نلاحظ أن دورها بقي مستمراً حتى العهد الحديث و المعاصر، بل تكثف خلال القرن التاسع عشر، كأسلوب لمواجهة التنصير [1].يشير ابن خلدون إلى أن أهل إفريقية أخلطوا بين طريقتي أهل المغرب، و أهل الأندلس، حيث اهتموا بالقرآن الكريم، و الحديث الشريف، إلا أن عنايتهم بالقرآن، و استظهار الولدان، ووقوفهم على اختلاف رواياته و قراءاته أكثر مما سواه، و هو يقرر أن طريقة أهل افريقية عموماً أقرب إلى الأندلسيين، وقد تكون كثرة ورود لقب الحافظ لعلماء افريقية في عهد الدولة الحفصية، دليلاً على الاهتمام بالقرآن الكريم، و الحديث الشريف [2].

(1)سعاد فويال، مرجع سابق: ص11

(2) ابن خلدون: مصدر سابق، ج2 ، ص 473.

المبحث الثاني: الزوايا

الزوايا عبارة عن مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأشكال و الأحجام، تشمل بيوت الصلاة وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، و العلوم العربية، و الإسلامية، مؤسسوا هذه الزوايا رجال دين متصوفون و الزاوية نوعان:

أ –نوع خلواتي: يدّعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية، و لكل شيخ طريقة لفرضها على أتباعه من الفقراء، و الإخوة و المريدين،فعندما تكون الزاوية ميسورة من الناحية المادية، دليل على غنى شيخها وكثرة الأوقاف، تخصص نصيباً لتعليم و حفظ القرآن الكريم و تعليمهم العلوم الدينية كالفقه و التوحيد.

ب –نوع غير خلواتي : لا يَدعي شيوخها معرفة الأسرار الدينية، ولكن يتخذون لأتباعهم ورداً خاصاً من الأذكار يتلونها وراء الصلوات، و يُعلمون الأطفال القرآن، و تلاوة بعض العلوم الدينية[1].

ساهمت الزاوية بشكل كبير في الحفاظ على الموروث الثقافي، خاصة الديني منه ساعدت على حمايته من الاندثار، كما عملت على نشر الإسلام بصفة دائمة و متواصلة كما لعبت دوراً هاماً لإزالة الفوارق الاجتماعية بين الأغنياء و الفقراء، و بالتالي إنهاء الخلافات و الخصومات بين الطبقات الاجتماعية، وذلك بفضل مركز الشيوخ و الأئمة ، كما كانت بمثابة مخازن للمخطوطات و الكتب في مختلف العلوم غير أن الكثير منها هُرب إلى أوروبا خلال الحملات الصليبية[2].

عرف المغرب الإسلامي على مدى القرون الثلاثة الأخيرة من العصور الوسطى بداية ظهور ثم تطور وتبلور الزوايا، و الظاهر أن الزاوية في المغرب هي الموضع المعد لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين[3] لكن مفهوم الزاوية مع مرور الوقت استقر على المكان الذي يلتقي فيه المتعبدون

(1) سعاد فويال: مرجع سابق، ص140.

(2) Lucien G obrin La Mosquée, ses origines , sa morphologie , ses diries Fonctions , son rôle dans la vie musulmane , plus spécialement dans l'Afrique du Nord, Parit , 1980,P130.

(3) عبيد بوداود : مرجع سابق، ص 415.

الراغبون في الحياة بمعزل عن العالم، يُصلون ويتلون القرآن، و يقيمون ممارسات أخرى مثل الذكر والإنشاد، كما احتفظت الزاوية بوظائفها الأولى كموقف لاستقبال عابري السبيل، و طلبة العلم [1].

ولقد خَصَ سلاطين دول المغرب الإسلامي عامة، الزوايا برعايتهم الخاصة، فضلاً عن عملية بناءها و النفقة عليها، بادروا بوضع الكثير من الممتلكات حُبساً عليها،وذلك سعياً منهم لإضفاء الشريعة الإسلامية على عروشهم، وكسب ود الرعية للمكانة التي أصبح يتمتع بها رجال التصوف في نظر العامة من شعوب المغرب الإسلامي.

وحسب ما ذكر ابن قنفد أن ظاهرة الزوايا و التصوف كانت شائعة في الجهة الغربية بالمغرب الأوسط أكثر من الجهة الشرقية، نظراً لذكره زاوية أبي مدين شعيب، التي كانت تتوفر على أوقات عديدة، ينفق منها على المنقطعين للعبادة [2] .

وللتذكير لم يكن الوقف على الزوايا و رجال التصوف مقتصراً على السلاطين بل ساهم فيه مختلف أفراد المجتمع، لكن المعلومات لم تصل بكثرة عن هذا الموضوع.

إضافة إلى العبادة كانت تُقام مجموعة من الوظائف داخل الزاوية من بينها تلقي بعض الدروس وإقامة الصلوات الخمس، مثل الزاوية التي بنيت بقسنطينة في القرن(9هـ/15م)، في مكان فندق كان يباع فيه الخمر [3].

نظراً لتأثر مدينة قسنطينة بظاهرة التصوف، إذ انتقلت هذه الظاهرة من بلاد المشرق الى بلاد المغرب، ازدادانتشار هذه الظاهرة إبتداءاً من القرن السادس هجري، و أصبحت الزاوية تنافس المسجد والمدرسة في نشر العلم، و إقامة الشعائر الدينية [4].

(1)عبيد بوداود : مرجع سابق: ص 116.
(2) ابن قنفد: مصدر سابق، (الفارسية)، ص106.
(3) روبار برنشفك: مرجع سابق، ص 221.
(4) سعد الله: مرجع سابق،ص 38.

من أسباب إنفتاح المغرب الإسلامي على ظاهرة التصوف، وخاصة في نهاية العصور الإسلامية هو تَلَقي هذا التيار قبولاً من قبل علماء السنة المشارقة مثل الغزالي، ليُؤدي ذلك فيما بعد إلى تسلل معتقد الأولياء إلى التصوف والعكوف داخل الزوايا خلال القرون الثالث عشر، و الرابع عشر، والخامس عشر [1].

كان الأمراء و السلاطين يبجلون المتصوفة رجال الزوايا، يحترمونهم و يخشونهم فكانوا يتوددون إليهم بالزيارة و التبرك، وعرضوا عليهم المناصب العليا كما فعل محمد الأول المستنصر الحفصي (647-675هـ/1249-1277م) مع الكاتب ابن محمد عبد الحق الربيع (ت 675هـ/1277م) عَرض عليه منصب قضاء مدينة قسنطينة لكنه رفض.

ولفرط إعجاب أمراء بني حفص بالمتصوفة كان المستنصر ينتصر لهم على حساب الفقهاء كما كان السلاطين وأفراد المجتمع يلجؤون إليهم والاحتماء ببركاتهم وكراماتهم في فترة الاضطرابات السياسية[2].

و ثمة ملاحظة أخرى، وهي أن الزوايا أصبحت تتولى مهام جديدة، غير المهام التي كانت موكلة إليها، مثل استقبال الطلبة و الصالحين، و السهر على حسن إقامتهم بها، حيث أصبحت كذلك مأوى للمسافرين الذين يتعذر عليهم الوصول إلى مقاصدهم النهائية، لذلك اختيرت أماكن إقامتها بعناية فائقة، فهي عادة ما تكون على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن المهمة، «ولقد جُعل في الزاوية، درساً لقراءة العلم ورباطاً للقاطنين، وسماطاً قوياً على ممر الأيام للمقيمين بها، و الوافدين، و أُوْقف عليها وقفاً كافيا» [3].

(1) عبيد بوداود: مرجع سابق، ص 229.

(2) فيلالي: مرجع سابق، (العصر الوسيط)، ص 94،95.

(3) ابن ابي دينار: مصدر سابق، ص 156.

المبحث الثالث:المدارس و المكتبات :

المدرسة هي مؤسسة مستحدثة ظهرت بالمشرق العربي مند نهاية القرن الرابع هجري، أصبحت أكثر انتشاراً في سوريا في العهد السلجوقي، خاضعة لأشراف السلطة الرسمية، و إنطلاقاً من الشام وصلت إلى مصر، عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم الى افريقية في حكم أبو زكرياء الحفصي، وقد اقترن وجودها بالمدينة دون القرى و البوادي، وقد ارتبطت نشأتها بعدة معطيات أهمها:

المعطى الإيديولوجي: المتمثل في التصدي للمذهب الشيعي في سوريا، أما في افريقية، فإن أبو زكرياء الحفصي قام بتأسيس المدرسة الشماعية بتونس للعمل على نشر المذهب الموحدي[1].

المُعطى السياسي: جاء إنشاء المدرسة في هذا الإطار من أجل خدمة جهاز الدولة، و قد تدخلت السلطة في نظام التدريس، و تسيير المدارس، التي تم بناؤها من قبل أمراء و أميرات وعلماء والمدرسة الشماعية التي بنيت في عهد أبو زكرياء الحفصي تعتبر أول مدرسة، وقد تلتها مدارس أخرى.

المعطى الاجتماعي: تتميز المدرسة عن المسجد، كونها مؤسسة تأوي الطلبة و الشيوخ الغرباء وتوفر لهم السكن و التدريس في ظروف حسنة، و كثيراً ما إكتست هذه المؤسسة صبغة خاصة إذ أن أصحابها يتحكمون في تسييرها بنسبة كبيرة [2] .

المعطى الثقافي:الحقيقة أن المدرسة شأنها شأن الزاوية جاءت لتقبل الجدل الفكري الذي ازدهر في القرون السابقة، تعوضه بتدريس الفقه و الحديث و اللغة و غيرها من العلوم العقلية و النقلية، سواءاً في مدينة قسنطينة، أو في غيرها من حوافز لمغرب الإسلامي، كما تولت السلطة أعطاء أجور المدرسين، و منح للطلبة.

حظيت المدارس و المكتبات بحظ وافر من اهتمام السلاطين و أفراد الرعية المياسير، إعلاءاً منهم لشأن العلم و أهله، و يعتبر القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي الانطلاقة الحقيقية لظهور

(1) محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي،ج، جامعة تونس الأولى، 1999، ص706.
(2) نفسه: ص708.

المدارس، و إن كان وجودها سابق لهذا التاريخ ،فقد سبقت الجزائر و تلمسان مدينة قسنطينة، بمدرسة عبد الرحمان الوغليسي (ت 786).

ولما تمكنت الفئات المتواجدة بمدينة قسنطينة من معرفة قيمة المدارس و المكتبات اهتمت بالتدريس، فبنت المدارس و هيئت المدرسين، و شجعت على التعليم وكان الاهتمام بهذا الأمر يأخذ في بعض الأحيان بشكل غير رسمي، و يرجع الفضل في بناء المدارس و إعدادها لأبي زكرياء ابن الأمير أبي إسحاق [1] .

و إن كانت كتب التاريخ، قد سكتت عن تحديد أماكن المدارس و المكتبات بمدينة قسنطينة، بل ولم تذكر حتى إسم من أسماء هذه المدارس و المكتبات، فضلا عن مدرسة حسن بن باديس صاحب السينية التي تبارى بعض العلماء في شرحها و تقليدها بل و التبرك بها، لأنها في مدح الشيخ عبد القادر الجيلاني، و قد إمتد تيار هذه المدرسة على شمل البلاد كلها[2].

بالرغم من اشتهار قسنطينة، و بلوغها مكانة علمية راقية، تبقى ندرة المصادر التي تخص الجانب الثقافي، تحيل بيننا وبين معرفة هذه المؤسسات،و شيوخها،و طلبتها و أساتذتها بالتدقيق.

وعلى حد تعبير ابن لفقون ان عدد المدارس بم يتعدى اثنان، الأولى مدرسة محمد ابن افوناس الفقيه، العالم[3]، ومدرسة ابن باديس.

إلى جانب التدريس أقيمت في المدرسة مهام أخرى، كقاعة للصلاة بها منارة ومنبر، إلى جانب كون المدرسة أداة للتعليم، أصبحت أيضاً مكاناً للعبادة، ولها غرفة ملحقة ينام فيها الطلبة المقيمين، وتتم إجازتهم سنوياً، مع احتياجات الدولة للإطارات [4] .

(1) الغبريني: مصدر سابق، ص 260.
(2) أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق، ص 88.
(3) ابن لفقون: منشور الهداية، ص37.
(4) الوزان: مرجع سابق، ص50.

كان التعليم في المدارس موجهاً إلى العقيدة أكثر منه إلى التشريع الديني، و في القرن الثالث عشر هجري، في المدارس الحفصية الأولى، كان يوجد صوفي هو عبد الله الشريف، [1] ومع نهاية القرن الرابع عشر كان عدد من الصوفية يتعلمون في المدارس، من أشهرهم إبراهيم المصمودي الذي تعلم فترة من الزمن في المدرسة التاشفينية[2].

تولى كل العلماء في الدولة مراتب رسمية، أساتذة في المدارس، وبعضهم كان يتولى التدريس في عدة مدارس في نفس الوقت، مثل الشيخ أبي عبد السلام المتوفي سنة 749هـ/1348م، إذ كان يتولى التدريس في مدرستين حفصيتين.

فضلاً عن ذلك فإن الأساتذة الدين كانوا يعملون في المدارس الرسمية أقل بكثير جداً من الأساتذة في التعليم الحرّ[3].

المكتبات :

تشير بعض الدراسات أنه كانت بمدينة قسنطينة الحفصية، مكتبات، وقد إزداد عددها خلال الهجرات الأندلسية إلى البلاط الحفصي، وقد أتو بكتبهم خوفاً من ضياعها او إتلافها من طرف الأسبان، إلا ان الغموض يسيطر على معلومات هده الناحية، وسكوت المصادر يبقى حائلاً بيننا وبين الوصول إلى المعلومة.

إقتصر إنشاء المكتبات، حتى على العامة من الناس،نظراً لتأثرهم بالأسر العلمية العريقة، و تأثرهم بكتاب البلاط الحفصي الذين حرصوا على اقتناء الكتب فقد وفروا المجال للعلم و البحث، و خلق الجو المناسب له، و مَثلث المكتبة العربية العمود الفقري لكل حركة فكرية في البلاد، مقترنة شديدة الاقتران

(1) الفردبل:مرجع سابق، ص56.

(2) مما يدل على أن التصوف لم يكن مستبعد من المدارس، ونما فيها، كما نما خرجها لأن السلطان في السلطنة الحفصية أو غيرها، كان يقدر الصوفية، كانوا ينظرون إليهم كما ينظر الشعب على أنهم أولياء الله.

(3) الفردبل: مرجع سابق، ص361.

بالمؤسسات التعليمية، خاصة في عهد المستنصر،و نتيجة للاضطرابات التي عرفتها البلاد في أواخر القرن السابع للهجرة، الثالث عشر للميلاد، و العديد من العوامل الطبيعية والبشرية، مثلما حدث بمكتبة جامع الزيتونة، التي كانت تحوي عدداً كبيراً من المجلدات، وقد احتوت هذه المكتبة على 36 ألف سفر في عهد أبو زكرياء الأول، ثم تولى أمرها فيما بعد المستنصر، كانت هده المكتبة بالنسبة لمن عاصر هذه الدولة، صرح ثقافي، ومنبر علمي لا يستهان به، إلا أن نوائب الدهر حالت دون دلك على حد تعبير ناظر المكتبة «المطر و أيدي البشر»[1].

يمكن تعريف المكتبة بأنها مكان يحوي مجموعة من الكتب التي تعتبر من وسائل المعرفة نُظمت تنظيماً فنياً يسهل الوصول إلى محتويتها واستخدامها، وتُعد المكتبة من أهم المؤسسات الثقافية، وهي مستودع العلم والثقافة والمعرفة بجميع أنواعهاكما أن كثرة المكتبات وتنوعها وكثرة المترددين عليها ظاهرة تدل على وعي الأمة ورقيها وحبها للعلم والمعرفة.

ولقد امتازت الحضارة الإسلامية قديماً وحديثاً بحبها للعلم واهتمامها بالكتب والمكتبات ونشرها للعلم والعلوم، وقد كان الدافع الأساسي وراء هذا الاهتمام هو حث الإسلام المسلمين على العلم والترغيب فيه، وبيان فضلة وفضل المشتغلين به،ومع ازدهار حركة التأليف في مختلف مجالات العلوم والمعرفة وخاصة ما يخدم القرآن والسنة والفقه ومع انتشار الإسلام في كثير من بقاع الأرض وتعرف المسلمين على معارف وعلوم وثقافات جديدة ازدهرت الكتب والمكتبات وأخذت المكتبات مكانها اللائق بها، وأصبحت من العلامات البارزة والمميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية فأصبح منها ينبع الفكر والمعرفة وإليها تهفو قلوب عشاق العلم من الخلفاء والأمراء ومحبي العلم والمعرفة من أدباء وعلماء ومفكرين وباحثين [2].

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1986، ص57.

(2) Omna,formarabia.com/287-topic

وقد ساعد على انتشار المكتبات وازدهارها اهتمام الخلفاء والأمراء بها وتشجيع القائمين عليها ودعمهم السخي لكل ماله علاقة بالكتب من حيث تأليفها والمحافظة عليها ونسخها ونشرها وما إلى ذلك.

وقد كانت المكتبات حين ذاك تسمى (خزائن الكتب).

كانت الكتب قبل اختراع الطباعة غالية الثمن، لا يقتنيها إلا الأغنياء، لأنها كان مخطوطات مرتفعة التكاليف، ولذلك قام القادرون من محبِّي العلمِ بإنشاءِ المكتبات، يجمعون فيها الكُتب، ويفتحون أبوابها للراغبين في القراءة والبحث، وكانت هذه المكتبات تأتيبما تؤديه معاهد العلم والجامعات في الوقت الحاضر،وقد اهتم المسلمون بأبنية المكتبات العامة التي كانت تُعدُّ لاستقبال الجماهير، وكان البناء مزوَّدا بحجرات متعددة، تربط بينها أروقة واسعة، وكانت الرفوف تُثبتْ بجوار الجدران لتوضع فيها الكتب وكانت هناك أروقة للاطلاع وأخرى للنسخ وبعضها لحلقات الدراسة، وشملت بعض المكتبات كذلك حجرات للموسيقى يذهب إليها المطالعون للترفيه وتحديد النشاط وكانت جميع الحجرات مؤثثة تأثيثاوكانت لهذه المكتبات فهارس منظمة، تتناول عناوين الكتب وأسماء المؤلفين، وقد كانلمكتبة دار الحكمة في القاهرة فهرس كبير، وكانت استعارة الكتب مباحة، وإن وضعت عليها قيود لتنظيم العمل فكانت مكتبة القاهرة لا تعير كتبا إلا للساكنين في القاهرة فقط، وأحيانا يُطلب من المستعير أن يدفع ضمانا، ولكن يَعفى العلماء من دفع الضمان أو التأمين، وكانت الاستعارة الخارجية محددة بوقتٍ معينٍ لا يزيد عن شهرين.

وقد قامت الترجمة بدور كبير في هذه النهضة العلمية،وكانت النهضة أول الأمر مقصور على الدراسات الدينية واللغوية، وأول مَن عُرفت له مكتبة في الإسلام هو خالد بن يزيد سنة 85 هجرية فقد اهتم بإخراج كتب القدماء، وترجمت له كتب الطبِّ والكيمياء، فقد أحضر جماعة من فلاسفة اليونان وأمرهم بنقل الكتب إلى العربية، وقد بلغ عهد الترجمة شهرته الواسعة في عهد الخليفة هارون الرشيد، فكان بالمكتبات العامة والخاصة المترجمون والنساخ،فتُحضر الكتب للنساخ لينقلوا صورا منها

تزود بها المكتبة، وقد شملت هذه الظاهرة حتى مكتبات المغرب الإسلامي، و لاشك أن المكتبات الحفصية كانت تقوم بهذا الدور.

ومن هنا نستنتج أن هده المؤسسات العلمية، إستمدت طاقتها من أهل قسنطينة وحكامها، الدين اعتنوا بالمؤسسة الدينية عناية فائقة خاصة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ومهما يكن فإن وظائفها بالنسبة للمسلمين، تمثلت في نشر العلم و العبادة معاً.

خـــــــاتمــة

إن الدولة الحفصية أدت دوراً ثقافياً لا يستهان به، في تاريخ منطقة المغرب الإسلامي، خاصة خلال القرن السابع هجري، و النصف الأول من القرن الثامن الميلادي، تميزت هاته الفترة بكثرة الفقهاء والمفتين، بدعم من السلاطين المحنكين، المتمسكين بالجانب الثقافي أكثر من الجانب السياسي.

السبب الرئيسي لبلوغ الدولة الحفصية عموماً، و مدينة قسنطينة بالخصوص، أن تكون حاضرة علمية لها شأن ووزن ثقافي كبير، هو سقوط دولة الموحدين التي أسسها الإمام المهدي بن تومرت، وتولى إدارة شؤونها عبد المؤمن بن علي، إلا أن وفاة يعقوب المنصور سنة (564هـ/1198م)، أحد الأمراء الأقوياء، و كذلك هزيمة المسلمين بمعركة العقاب بالأندلس سنة(609هـ/1212م)، تقلص نفود الموحدين بالمغرب، و أتاح الفرصة لاستقلال أبي زكرياء الهنتاتي، و إعلانه قيام الدولة الحفصية بتونس والشرق الجزائري.

كانت مدينة قسنطينة ملتقى الوفود و العلماء، و الحجاج، كانت محطة لابد من الوقوف عندها أنجبت خيرة العلماء، و إستقطبت أجلهم، ترعرع فيها البواسل من الرجال.

إن بروز الحاضرة العلمية قسنطينة بالشرق تزامن مع بروز الحاضرة العلمية تلمسان بالغرب وفضلاً عن العلاقات السياسية المتناحرة، و المتفككة، كان لعلماء كل من الحاضرتين هدف واحد مشترك وهو تأسيس كيان علمي بالمغرب الأوسط، ذا المكانة الإستراتيجية بين الدول.

لم تتوقف جهود أهل قسنطينة، و فقهاءها عند التأليف و شراء الكتب فقط بل أهلهم فكرهم الراقي و ثقافتهم الواسعة إلى تشييد مؤسسات علمية تحوي هذه العلوم، و واضعيها، وحتى من أراد الالتحاق بمصاف العلماء و التزود من هذا البحر الزاخر الذي ميز قسنطينة، فنالت لقب أُم الحواضر.

فالدور الفعال الذي أدته الأسر العلمية، في ثراء الرصيد الثقافي، وتنشيط حركة المؤسسات بما فيها المساجد والزوايا والمكتبات، وخاصة المسجد الذي كان أول مؤسسة دينية بالمدينة، وحتى في عمر الدولة نفسها، كما لا ننسى دور الطائفة الأندلسية و إسهاماتها في رسم ثقافة الدولة، وقد اتسمت علاقتهم مع أهل قسنطينة بالتعاون والتعايش، فقد أثْرَوا المكتبات نظراً لنزوحهم بمؤلفاتهم إلى بلاد المغرب.

ويرجع الفضل الكبير في إشاعة النور عن هذه الدولة عموماً، و قسنطينة خصوصاً كتاب الفارسية لابن قنفد سليل العائلة المشهورة بمدينة قسنطينة و أصحاب الفضل الكبير في دعم الثقافة وخاصة الدينية منها خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر ميلادي.

وقد ألقت الدراسة الضوء على الغزوات و الأعمال السياسية التي تفنن في أدائها حكام مدينة قسنطينة، و على رأسهم المستنصر، و أبو العباس، و أبو فارس.

لم يجد الحفصيون أمام العلماء المغاربة و غيرهم من علماء الأندلس و أدبائهم المهاجرين إلى مدينة قسنطينة أية عوائق تُعوق إقامتهم في ربوع الدولة الحفصية عموماً و قسنطينة على الخصوص، وقد نتج عن هذا الجو العلمي تطعيم الحركة الفكرية برصيد هائل من الثقافة الممزوجة، حتى صارت مدينة قسنطينة من اكبر حواضر العلم و الفكر، كما لا ننسى الموقع الجغرافي القريب من جامع الزيتونة، ولهذا السبب تأثرت قسنطينة أكثر من غيرها، وظل هدا التأثر قائماً مستمراً حتى وقت قريب جداً.

و أخيراً يمكن القول إن هذه الدراسة قد توصلت إلى استنتاجات ليست بأحكام نهائية وستعرف تقدماً أكثر باكتشاف وثائق جديدة تكشف بعض اللُبس عن الجانب الثقافي بإذن الله، نظراً للمكانة الكبيرة لقسنطينة بين المدن، وكانت و لازالت إحدى عواصم الإسلام، و إحدى قلاعه، حاضرة من حواضر العلم لولا الضعف الذي ألحقته بها دولة النصارى، وهذه سنة الله في الخلق وفي الدول.

و لعل جزءاً من تراثها الثقافي سيظهر خلال الاحتفال بها عاصمة الثقافة العربية خلال العام المقبل إن شاء الله 2015م.

ولكي تنعم هذه الدراسة بالثراء، أوصي الدفعة القادمة بمواصلة هذا البحث، في هذا المضمار علماً أنني تناولت الجانب الثقافي منه أقترح هذه العناوين.

- العمران في مدينة قسنطينة.
- العلاقات الثقافية بين الحواضر العلمية خلال العهد الحفصي قسنطينة و تلمسان نموذجاً .
- التركيبة الإجتماعية للمجتمع القسنطيني خلال العهد الحفصي.

ملاحـــــــــــق

ملحق رقم (01)

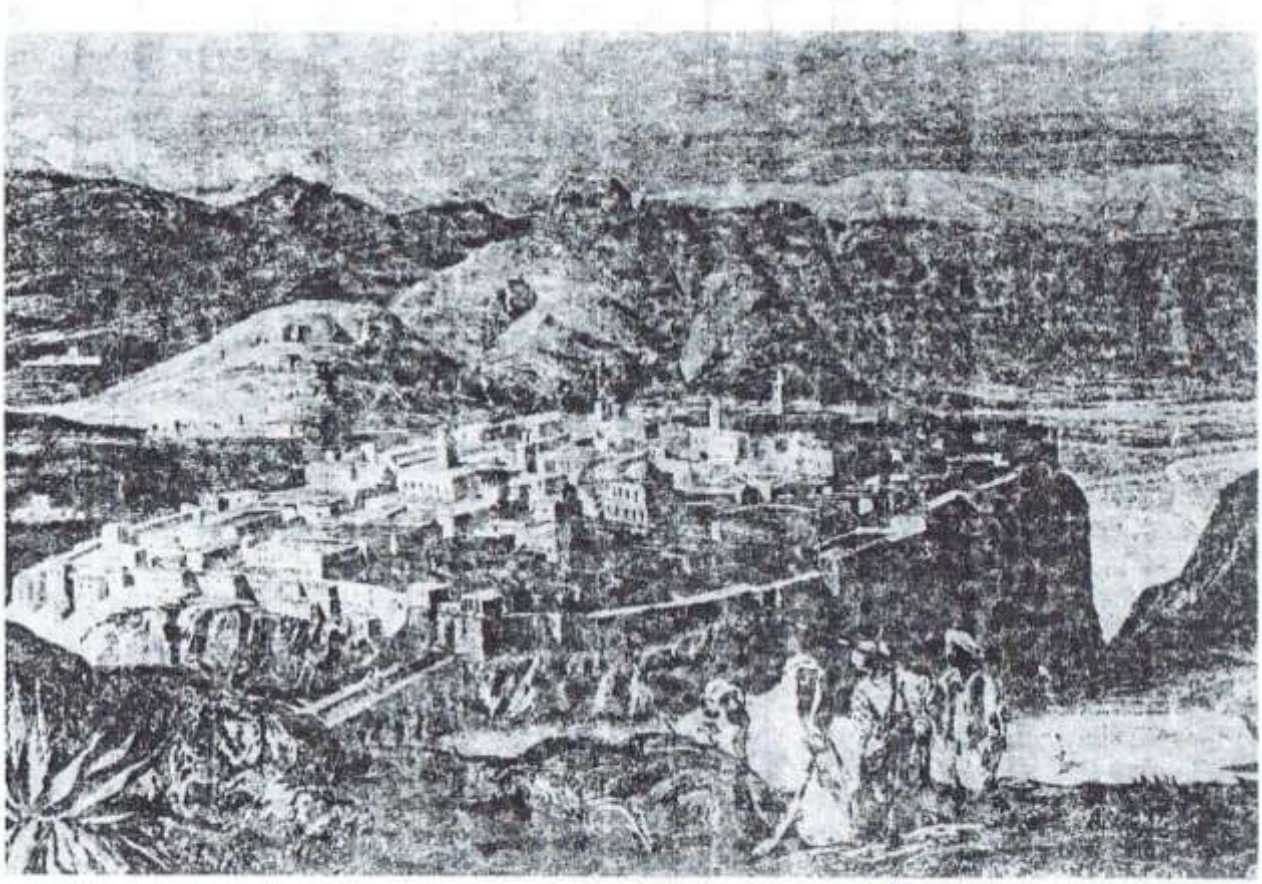

منظر عام لمدينة قسنطينة عام 1337

فيلالي، مرجع سابق (العصر الوسيط)، ص 150

ملحق رقم (02)

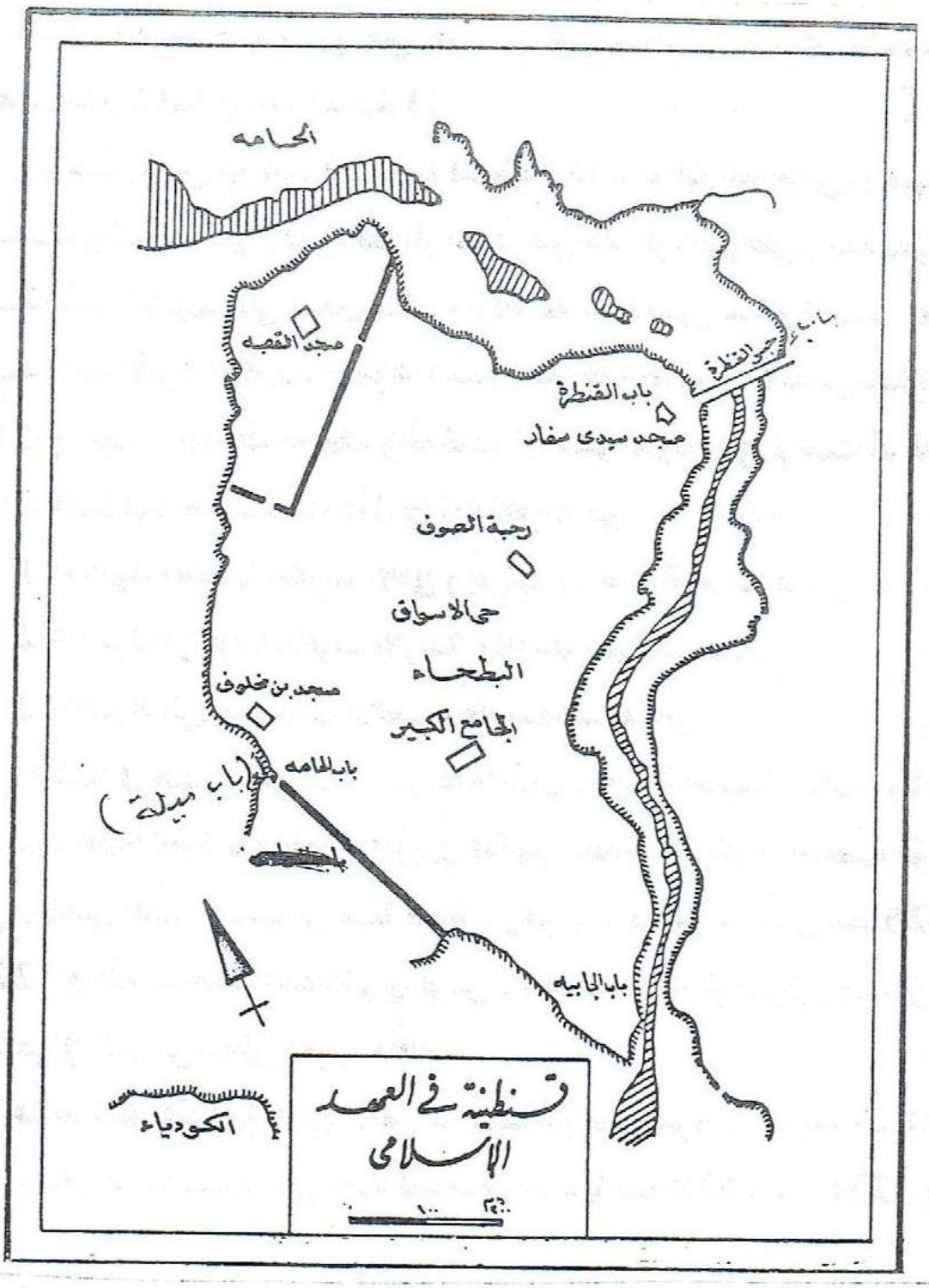

محمد الهادي لعروق، مرجع سابق، ص 54

ملحق رقم (03)

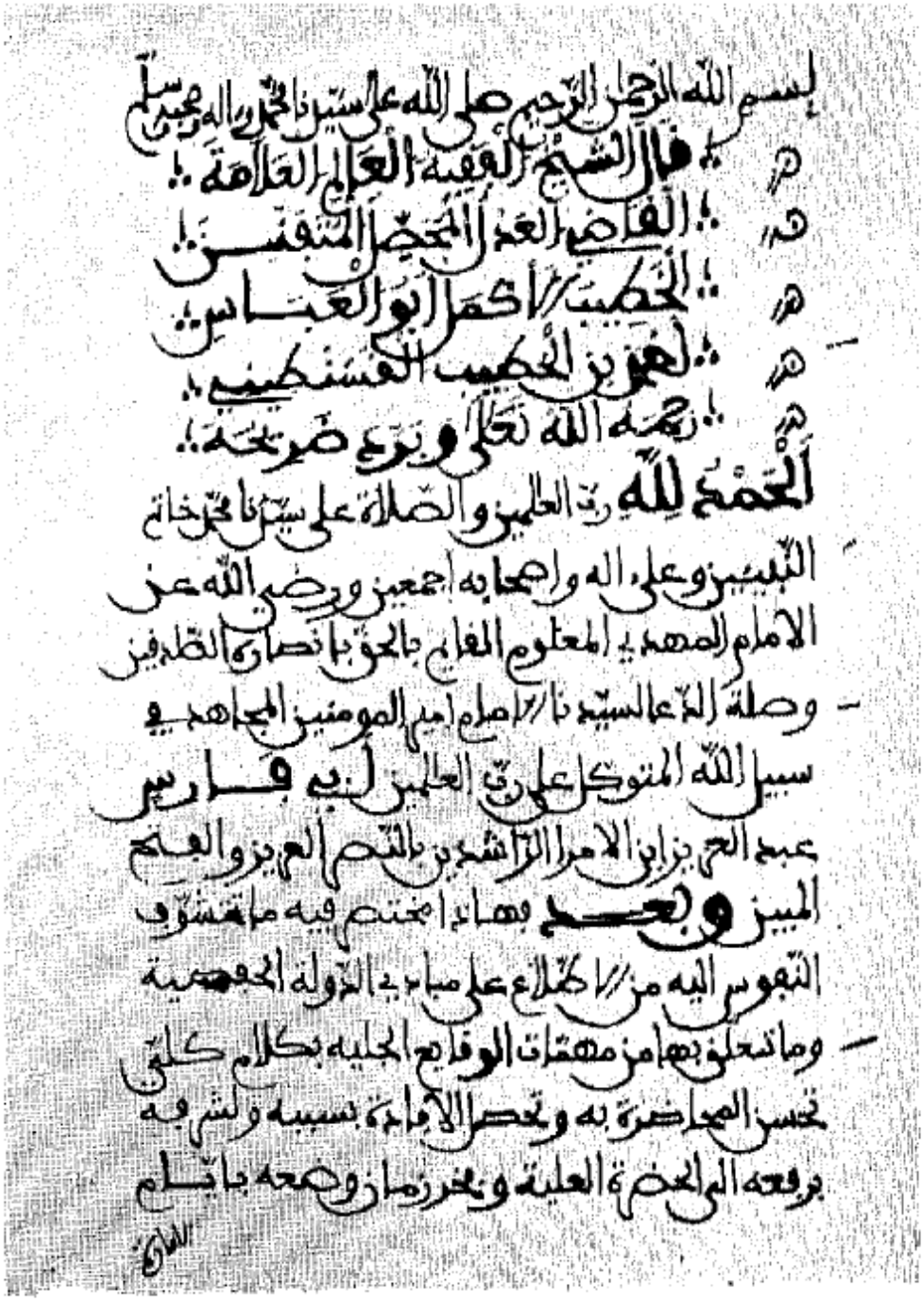

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
قال الشيخ الفقيه العالم العلامة
القاضي العدل المحصل المتفنن
الخطيب أكمل أبو العباس
أحمد بن الخطيب القسنطيني
رحمه الله تعالى وبرد ضريحه
الحمد لله رب العلمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم
النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين ورضي الله عن
الامام المهدي المعلوم القايم بالحق بانصار الدين
وصلة الداعي السيد الامام أمير المومنين المجاهد في
سبيل الله المتوكل على رب العلمين أبي فارس
عبد العزيز ابن الامير الراشد بن النصر العزيز والفتح
المبين وبعد فهذا مختصر فيه ما تشوف
النفوس اليه من الاطلاع على مباني الدولة الحفصية
وما تعلق بها من مهمات الوقايع الجليه بكلام كلي
تحسن المحاضرة به وتحصل الافادة بسببه وتشرفه
برفعه الى الحضرة العلية وتخر زمان وضعه بالقلم

اول نسخة الفارسية

ابن قنفد، مصدر سابق (الفلوسية)، ص 96

ملحق رقم (04)

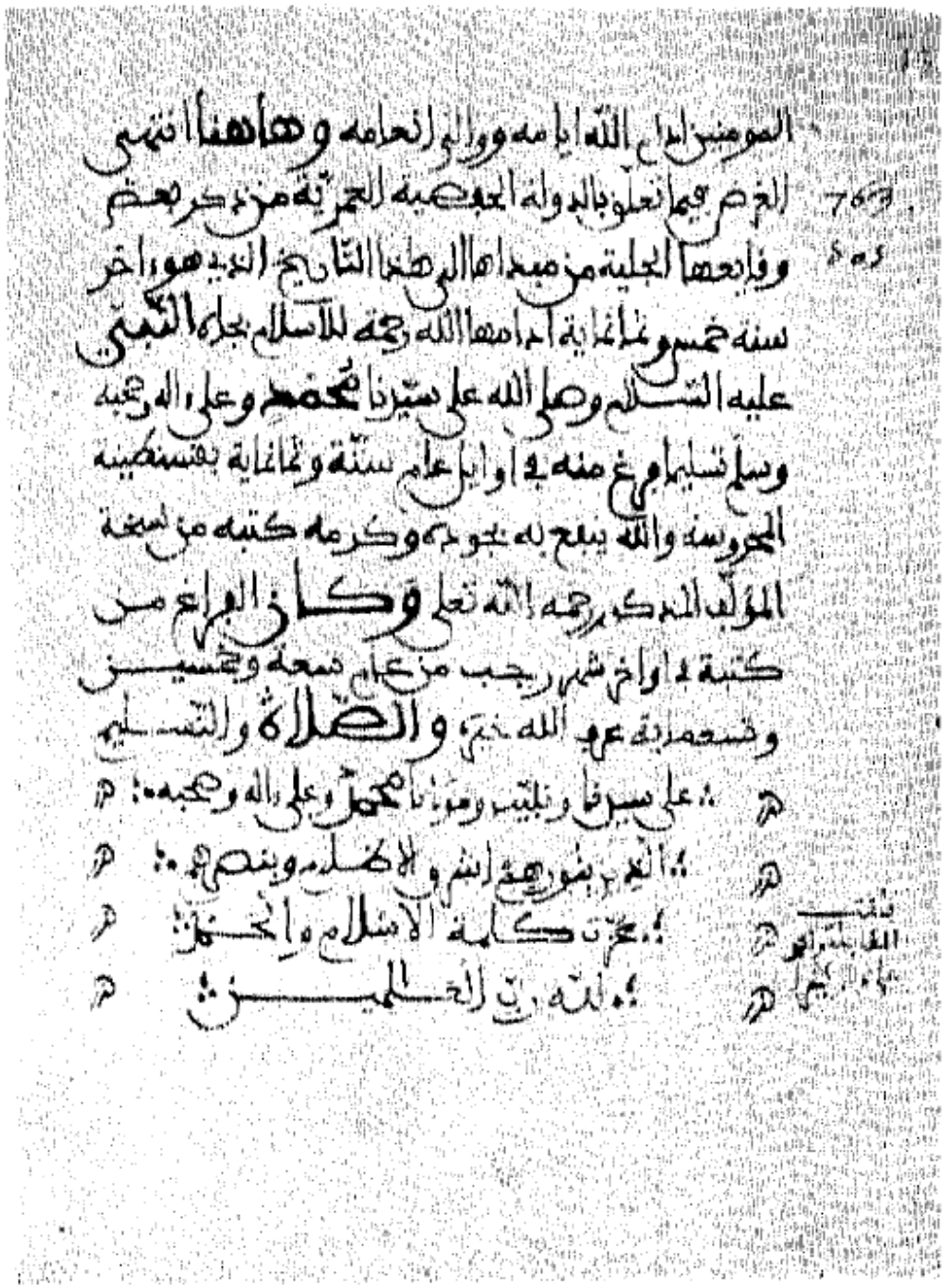

آخر نسخة الفارسية

ابن قنفد، مصدر سابق (الفلوسية)، ص 97

البيبليـو غرافيا

- المصادر العربية
- المصادر الفرنسية
- المراجع العربية
- المراجع الفرنسية
- المقالات
- الرسائل العلمية الجامعية

المصـادر العربيـة:

1- إبن ابي دينار ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم : المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح، محمد شمام، ط2، تونس، 1968.

2- ابن ابي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس نشر محمد الهاشمي الفيلالي، الطبعة الحجرية، المغرب، 1936.

3- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت، تح، عبد الحميد حاجيات، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

4- البجائي أبو عصيدة أحمد: رسالة الغريب الى الحبيب، تح، أبو القاسم سعد الله، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2005.

5- التلمساني محمد بن مريم: البستان في ذكر العلماء و الأولياء بتلمسان ، تح حاجيات عبد الحميد، منشورات السهل، الجزائر، 2009.

6- الحميري محمد عبد المنعم:الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، دار القلم، بيروت، 1975.

7- ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة أقداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1990.

8- ابن خلدون عبد الرحمن : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

9- ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

10- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الاسيدي: معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تح، ناجي التنوخي، إبراهيم شيوخ، ج1، دار السنة المحمدية، مصر، 1968.

11- الادريسي الشريف: نزهة المشتاق في إختراق الافاق،تح ، محمد الحاج الصادق، دار الحكمة، الجزائر، 1983.

12- الزركشي ابو عبد الله محمد بن إبراهيم: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تح، محمد ماضور،ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

13- أبو زكرياء يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

14- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لمعرفة أهل القرن التاسع، تح، محمد جمال القاسمي، دار الجيل، 1992.

15- السلاوي أبو العباس: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج 2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

16- السراج محمد الوزير: الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تح، محمد الحبيب، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985.

17- الشماع ابو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر محمد العموري، الدار العربية للكتاب، الجزائر، 1986.

18- العبدري محمد البلنسي(820هـ): الرحلة المغربية، تح، سعيد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث و االدراسات، 1428هـ/2007م.

19- ابن عدارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح، ليفي بروفننسال، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985.

20- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت 814): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، محمد ابن ابي شنب، دار البصائر، الجزائر، .2007

21- الفكون عبد الكريم: منشورات الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، .1987

22- ابن قنفد أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني :الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح، محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، .1968

23- ابن قنفد أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني: كتاب الوفيات، تح، عادل نويهض، مؤسسة نويهض للثقافة و النشر، بيروت، .1982

24- القاضي النعمان: رسالة إفتتاح الدعوة، تح، وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، .1970

25- مجهول :الاستبصار في عجائب الأمطار، تح، إسماعيل العربي، الجزائر، .1983

26- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، دار الكتاب، الرباط، دت.

27- المقري احمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، ج3، 1968.

المصادر الفرنسية:

28- lucien G olvin la Mosquée,ses origines, sa Morphologie.ses divers – Fonctions, son rôle dans la vie musulmane,Plus specialement dans l'Afrique du Nord, Parit, 1980.

المراجع العربية:

29- ادريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 الى القرن 12، تر، حمادي الساحلي،ج2، دار الغرب، بيروت، .1992

30- الفردبل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح حتى اليوم، ترجمة، عبد الحرمان بدوي، ط3 ، دار الغرب الاسلامي، دار الهدى، .2011

31- برنشفك روبار: تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15، ترجمة، حمادي الساحلي،ج1 ، دار الغرب الاسلامي،.1989

32- بلغيث محمد لمين :فضول في التاريخ و العمران بالمغرب الاسلامي، منشورات انترسيني، الجزائر، 2007.

33- بونة مجاني: النظم الادارية في المغرب الاسلامي خلال العصر الفاطمي 296-362هـ/ 909-973م (الجزائر، ليبيا، تونس، المغرب)، دار بهاء الدين، الجزائر، .2010

34- بوداود عبيد : الوقف في المغرب الاسلامي ما بين القرنين السابع و التاسع الهجريين (ق 13-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، مكتبة الرشاد، بلعباس، .2011

35- بوعياد محمد آغا: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م، منشورات تالة، الجزائر، .1982

36- الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام، ج2، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1400هـ/ 1980م.

37- حساني مختار : التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج،ج 2 ، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

38- حساني مختار: الحواضر و الامصار الاسلامية الجزائرية، ج1، دار الهدى، الجزائر، .2011

39- حساني مختار: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، مدن الشرق، ج 3، دار الحكمة ، الجزائر، 2007.

40- حسن محمد المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، ج 1، جامعة تونس الاولى، تونس، 1999.

41- الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/ 909-975م، التاريخ السياسي و المؤسسات ، ترجمة، جمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، .1994

42- رشيد بورويبة و آخرون: الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني،ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، .1984

43- سعد الله ابو القاسم :تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830،ج1، ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت، .1998

44- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، مصر،.1965

45- سلماني أحمد: تاريخ المدن الجزائرية، دارالقصبة للنشر، الجزائر، .2007

46- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،.2006

47- السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين و الموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، .2006

48- الصلابي محمد علي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي،ج 1، دار التوزيع و النشر الإسلامية، القاهرة، .2006

49- الصيد سليمان: نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من أخبار، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، .2007

50- الطالبي محمد: الدولة الاغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م، تعريب المنجي الصيادي، تدقيق، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، .1985

51- الطويلي أحمد: في الحضارة العربية التونسية، دار المعارف للطباعة، تونس، .1998

52- الطويل الطاهر: المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الأول إلى القرن الخامس الهجري، المتصدر للترقية و الثقافة و العلمية و الإعلامية، الجزائر، .2011

53- الطمار محمد: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983.

54- طقوس محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا و مصر وبلاد الشام، دار النفائس، لبنان، 2001.

55- العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، المغرب،.2007

56- العروسي محمد مطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .1986

57- الغناي مراجع عقيلة: قيام دولة الموحدين، دار الأمل للنشر، بنغازي، .2009

58- الفاسي محمد الوزان: وصف افريقيا، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الاسلامي،، بيروت، .1983

59- فويال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، .2010

60- فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة ساسية عمرانية و ثقافية، دار البعث، .2002

61- فيلالي عبد العزيز: مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي و البيئة الطبيعية، دار البعث، قسنطينة،.1984

62- فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، دراسة عمرانية إجتماعية، ثقافية،ج 1، موقم للنشر، الجزائر، .2007

63- فيلالي عبد العزيز إبراهيم بحاز: مدينة ميلة في العصر الوسيط دراسة سياسية ثقافية، إدارية عمرانية، دار البلاد للاتصال و الخدمات، الجزائر، .1998

64- لعروق محمد الهادي: مدينة قسنطينة دراسة في الجغرافيا و العمران ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1984

65- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية مند تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م) ج1، الأمل للدراسات، الجزائر، .2007

66- مهنتل جهيدة مقروس: حاضرة قسنطينة : حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية و الرومانية، دار الهدى، الجزائر، .2011

67- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، من مصدر الاسلام عن العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، .1980

68- يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، .2007

69- يحي بوعزيز: وهران، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

مراجع فرنسية:

70 Ernest Mercier : Histoire de Constantine . Imprime avec le concours . - de la société . archéologique . Constantine . 1903.P330

71 Rachid Bourouiba: Iben toumtrt, Alger,1974, p20.

72 Lucien G obrin : La Mosquée, ses origines , sa morphologie , ses diries Fonctions , son rôle dans la vie musulmane , plus spécialement dans l'Afrique du Nord, Parit , 1980,P130.

المقالات:

73- جرار عبد الرؤوف: سقوط الدولة الفاطمية بالمغرب ونبد التشيع، جامعة القدس المفتوحة، العدد 20، 2010.

74- حاجيات عبد الحميد: الحياة الفكرية في عهد الموحدين، الملتقى الوطني حول تاريخ مدينة ندرومة، تلمسان، 1983.

75- فيلالي عبد العزيز: جوانب من تاريخ قسنطينة السياسي و الحضاري، محاضرة ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر، ج4، قسنطينة،1983.

الرسائل العلمية الجامعية :

76- طاهر راغب حسين: الدولة الحفصية بالمغرب إلى آخر القرن الثامن، إشراف أحمد شابي، ماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العلوم جامعة القاهرة، 1985.

77- العامري علي فيصل: السياسة الخارجية للدولة الفاطمية 358-427هـ/968-1035م، إشراف رياض حميد الجوري، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي،كلية العلوم الإنسانية، جامعة الكوفة،2007.

78-المسعودي جميلة المبطي المسعودي: المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص مند قيامها سنة 661هـ-793هـ،إشراف محمد المنسي محمود عاصي، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية،قسم الدراسات التاريخية، جامعة أم القرى،السعودية، 2000.

79- نجوان أبو بكر حسين: تاريخ افريقيا السياسي و الحضاري 443-602هـ/1205-1052م، بإشراف الأستاذ عفيفي محمود ابراهيم، جامعة نبهة، العراق، 2009.

80- بن النية رياض : صنهاجة المغرب الاوسط من الفتح الاسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر 80هـ/699م/362هـ-973م، إشراف بوبة مجاني، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2005.

الفهـــــارس

- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام:

(أ)

أحمد الشريق 24

أبوحفص يحي 14- 15- 16

أبو زكرياء 17 – 18 – 22 – 25 – 28 – 33 – 36

أبو إسحاق 18

أبو فارس عبد العزيز 18 – 21 – 22 – 29 – 36 – 39 – 44 – 54

أبو العباس أحمد 21 – 22 – 34

ابن تومرت 13

ابن الفقون 52 – 66

ابن قنفد 43 – 52 – 53 – 56 – 63

الأغالبة 11

(ب)

برجار 8

برترندي 8

(س)

سيفاكس 9

(ع)

عبد المؤمن بن علي 13 – 16

عقبة بن نافع 9 – 10

عقبة بن عامر 9

عمرو بن العاص 9

(غ)

الغزالي 64

(ك)

كتامة 10 – 12

(م)

محمد الصفار 54

المستنصر 18 – 23 – 28 – 36 – 64

المعز 12

الملاري 43

فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

افريقية 10 – 14 – 30 – 33 – 35 – 36 – 65

الأندلس 35 – 55 – 56 – 61

(ب)

باب القنطرة 27 – 30

باب الحامة 27

باب الجابية 27

باب الوادي 27 – 30

بجاية 29 – 30 – 44 – 49

(ت)

تلمسان 14 – 25 – 28 – 66

تونس 14 – 15 – 17 – 22 – 24 – 28 – 31 – 35 – 39 – 42 – 46 – 48- 59

(ر)

رندة 6

(ق)

قرطاجة 8

القصبة 25 – 27 – 43 – 53 – 54

قسنطينة 6– 8– 9–11– 13– 15– 17– 24 – 25– 27– 30 -32-35-37- 48 – 52– 56– 60– 66-70

(ك)

كتامة 11

(م)

مراكش 41 – 53

ميلة 25- 28

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمـــة.....01

الفصل التمهيدي: مدينة قسنطينة وتطورها التاريخي

المبحث الأول: موقع مدينة قسنطينة 06

المبحث الثاني: أصل التسمية.....08

المبحث الثالث: الأدوار التاريخية قبل العهد الحفصي 09

قسنطينة قبل الإسلام 09

قسنطينة إبان الفتح.....09

قسنطينة في عهد الاغالبة..... 10

قسنطينة في عهد الفاطميين 10

قسنطينة في عهد الزيريين والحماديين..... 12

قسنطينة في عهد الموحدين.....12

الفصل الأول: الحياة السياسية لقسنطينة في العهد الحفصي

المبحث الأول: الدولة الحفصية نشأتها وسقوطها.....14

المبحث الثاني: قسنطينة العاصمة الثانية للحفصيين..... 25

المبحث الثالث : دور قسنطينة في تسيير دواليب الحكم الحفصي.....29

الفصــل الثـاني: الحياة العلمية في قسنطينة الحفصية

المبحث الأول: العلوم المتداولة في قسنطينة 33

العلوم النقلية 34

العلوم العقلية 39

المبحث الثاني: علماء مدينة قسنطينة 41

من علماء مدينة قسنطينة في بلاد المشرق 48

المبحث الثالث: ابرز الأسر العلمية في قسنطينة 52

الفصـل الثالث: المؤسسات التعليمية و العلمية في قسنطينة

المبحث الأول : المساجد والكتاتيب 58

المبحث الثاني : الزوايـا 62

المبحث الثالث : المدارس و المكتبـات 65

خـــاتمـــة 71

الملاحق 73

المصادر والمراجع 77

الفهارس 85

فهرس الموضوعات 88

ملخص 90

ملخص :

كانت مدينة فسنطينة في العهد الحفصي القاعدة الثانية بعد العاصمة تونس، بعد ان اقام الحكام الحفصيين بتوسيع دولتهم، فاستمر فيها البناء والتطور، ونظرا لهده الاهمية ، تطرق لها العديد من المؤرخين القدامى

وفي العهد الحفصي بالذات برزت قسنطينة بصفة رسمية ، فاصبح لها شأن كبير، خاصة في الجانب الثقافي الدي يعد جانبا مهما في شان الدول ،كما كانت الاوامر التي تصدرها الدولة من املاء رجال قسنطينة.

تنوعت العلوم المدروسة في مدينة قسنطينة، بين علوم عقلية، وعلوم نقلية، وكانت مساهمتها في جانب العلوم الشرعية بنسبة كبيرة خاصة الفقه.

نشا في هده المدينة مجموعة من كبار العلماء من بينهم ابن الفكون، علي بن ميمون، ابن قنفد، ابن الكماد، ابو الفضل المشهدالي، الزواوي طاهر.

ادت الاسرة العلمية دورا بارزا في ارساء قواعد الثقافة القسنطينية من بين هده الاسر العلمية نجد، عائلة ابن الفقون، عائلة ال قنفد، عائلة ابن الوزان، عائلة ابن الخطيب، ال باديس.

اعتنى الحفصيون ببناء المساجد والزوايا، وهدا نابع من عادات وتقاليد المجتمع الاسلامي، من بين المساجد نجد:

1 -المسجد الكبير بقسنطينة.

2 جامع القصبة.

3 مسجد ابو عبد الله الصفار بالقرب من باب القنطرة.

RESUME :

La ville de constantine était à l'époque el Hafsi était la danscième base après la capitale tunisienne , c'est après la réalargeur de son é leur étasunis et la construction et le développement , sont continués et pour cette importante , plusieurs des anciens écrivains sont suivies.

A l'époque el Hafsi constantine apparaît en cas titulaire, comme elle avait une grande place importante dans le côté culturel , qui .

Est «évidant pour l'instalation de l'états- unis

Les sciences à constantine sont florrissantes entre les sciences de l'esprist et les sciences transfers , et elle était donnée les sciences islamiques d'une grande groupe des el Fikh .

A cette ville là , il y a grand groupe des savants entre ces savants Iln Fl Fakoun , Ali Ben Mimoun, Ibn Kounfod , Ibn El Kamed , Abou el Fadl El Mechdali et Fzzaoui Tahar.

Les fimilles Scientifiques avaient une grande rôle importante dans aux atapes culturelles constantiques , entre ces familles on trouve , la famille de Ibn el Fakoun, la famille de El Kounfod , la famille d'ibn el ouazzane , la famille d'ibn el khatibet el El badis.

El Hafssioun travaillent à construire les mosqués et zawayas et ça pour leurs côtumes et leurs traditions parmis ces mosqués on trouve .

La grande mosqué de costantine , la mosque de la Casbah e la mosqué de Abdelleh El safar prés de la porte de pont.